أم المؤمنين عائشة

رضى الله عنها

مأمون غريب

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

"حبُّك يا عائشة في قلبي كالعُروة الوُثقَى"

حديث شريف

مقدمة

لا شك أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كانت من أحب زوجات الرسول ﷺ إلى قلبه، فهى بنت أبى بكر الصديق أول من أسلم من الرجال، والذى كان له دوره البارز فى حياة الرسول، وكان خليفته الذى قضى على الفتن ومدعى النبوة، وأعاد للإسلام وحدته وقوته، وأعطى إشارة البدء للفتوحات الإسلامية الكبرى التى تصدت وقضت على الامبراطورية الفارسية، وحطمت الامبراطورية الرومانية. .

وكان عهده امتدادًا لعهد الرسول ﷺ. .

وأمها أم رومان زينب بنت عامر بن عويمر.

وقد قال الرسول عن أبى بكر الصديق:

« **رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته، وحملنى إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله** ».

وقد تزوجها ﷺ وهى صغيره السن - على اختلاف الرواة فى سنها عندما دخل بها الرسول - وكانت قريبة إلى قلبه، واعية لمسيرة الأحداث، فاهمة لسنته ﷺ. . وبذلك صححت الكثير من الأحاديث التى رويت عنه ﷺ، وشرحت

الكثير من الأحاديث المتعلقة بفقه المرأة كما فهمته من الرسول . . ومن هنا نعرف مغزى الحديث الشريف :

« كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ».

إنها مثال للمرأة المسلمة التى كونت شخصيتها مبادئ الإسلام وقيمه وفضائله، وتأثرت تأثرًا كبيرًا بشخصية الرسول ﷺ، ونقلت للناس العديد من شمائله ﷺ.

وقد عاشت السيدة عائشة حتى عام ٥٦هـ . . أى أنها شاهدت الدعوة وهى ما زالت محاصرة فى مكة، وشاهدتها وقد فكت حصارها، وانطلقت بقوة هائلة تحرز الانتصارات المذهلة على الأعداء، وتنشر النور فى كل مكان، بعد أن حطمت على يد خلفاء الرسول امبراطوريتى الفرس والروم . . فانهزمت الأولى هزيمة ساحقة، وتقلصت الامبراطورية الرومانية بعد أن أوقعت بها الهزائم الساحقة فى الشام وفلسطين ومصر والشمال الأفريقى .

سيدة عظيمة . . أحبها الرسول أكثر من غيرها من نسائه وهذا الميل القلبى ليس له يد فيه . . فهو يعدل بين نسائه . .

ولكن فى العاطفة.. كان أميل لعائشة.. وكان يقول:

« **اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك** ».

وكانت هى الأخرى تحبه حبًا جمًا.. وكانت تغار عليه غيرة شديدة، حتى إنها اتبعته ذات يوم، على ظن أنه ذاهب إلى إحدى زوجاته ولكنها رأته يتجه نحو البقيع ليدعو لشهداء المسلمين.. يومها قالت لنفسها:

« بأبى أنت وأمى.. أنت فى حاجة ربك وأنا فى حاجة الدنيا ».

وعندما عاد ﷺ من البقيع لاحظ ما ألم بها فسألها:

- **ما هذه النفس يا عائشة؟**

فقالت:

- بأبى أنت وأمى.. أتيتنى فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستها.. فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع.

كانت شديدة الذكاء.

وكانت تجيد القراءة والكتابة وتحفظ الكثير من الشعر..

وكل ذلك جعلها تستوعب السنة . . وتقدِّر زوجها فأحبته من أعماق نفسها .

كان النبى ﷺ يخصف نعله يومًا وهى تغزل، ورأت العرق على وجهه، فتصورت أن حبات العرق على جبينه - لحبها له - تتألق نورًا فاعترتها الدهشة .

قال لها الرسول ﷺ :

- مالك بهت؟

قالت :

يا رسول الله نظرت إلى وجهك فجعل عرقك يتولد نورًا . . فلو رآك أبو كبير الهزلى لعلم أنك أحق بشعره .

قال ﷺ :

- وما يقول يا عائشة أبو كبير الهزلى؟

قالت يقول :

ومبرأ من كل غير حيضة

وفصاد مرضعة وداء مقبل

وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه

برقت كبارق العارض المتهلل

فقام رسول الله ﷺ وقبلها بين عينيها وقال:

- **بارك الله فيك عائشة.**

وقد زاد من حبه لها صداقته الحميمة لأبيها الصديق.

وقد سأل عمرو بن العارص رسول الله يومًا:

- يا رسول الله من أحب الناس إليك؟

قال: عائشة.

- إنما أقول من الرجال؟

- **أبوها.**

ولا يختلف أحد على فصاحتها وقدرتها على البيان.. ومن أجل هذا روى أن الرسول ﷺ قال:

- **خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء.**

وإذا كنا بصدد الحديث عن السيدة عائشة ودورها فى السنة النبوية، فيجب أن نتوقف قليلا عند أهمية السنة لأنها هى المكملة للقرآن الكريم والشارحة له.

ولكن لماذا نهى الرسول ﷺ عن تدوين الحديث، ثم عاد فأمر بالتدوين؟

فى العهـد المكى. . كان الناس فى حاجة إلـى أن يعوا ما جاء فـى القرآن الـكريم وحديـثه عن الجـنة والنار، والـثواب والعقاب، وعـدم الشرك بالله. . ونبذ عـبادة الأوثان. . وكان القرآن ينزل بإعجـازه المبهر متحدثًا عن عـالم الغيب. . فكان كما يقول الدكـتـــور عبـد الحليم محمـــود فـى كتابه (السنـة فى مكانتهـا وتاريخها) لا بد من تقديمه - أى القرآن الكريم - كمـا نـزل فى ثوبـــه الإلهى البحت حـتى تصبح المـعالم - معـالم الإعجـاز المعجـز - بيِّنة سـافرة، من أجل ذلـك نهى رسول الـله ﷺ عن كـتابة حـديثه. . صلـوات الله وسـلامه عليـه. . ولكن فى فـتـــرة العهـــد المدنى تغـــير الـوضـع، ويقـــول الدكـتـور عبد الحلـيم محمـود عن الأسبـاب التى أوجبت تدوين السنة فى عهد الرسول:

. . وكـان المسلمـون قـد ألفـوا الجو الإسـلامى وألفـوا الأسلوب القرآنى، وعرفـوا مفهوم الشرك ومفهـوم التوحيد، وتبـينت لـهم الفـروق الفاصـلة بين العـلم والجهـل. . وبين الإسلام والجاهـلية، وبين توجيـه الوجه للذى فطر الـسموات والأرض، وتوجيهه للأصنام أو الشهوات أو اللهو. . لم تكن هناك ظروف توجب عـدم كتابة الحديث، ولـم يكن هناك من خوف على خلط أسلوب القرآن الكريم بغيره.

وكان لا بد من تقييد شروح الرسول ﷺ، وتفسيراته. لم تكن هناك ظروف توجب عدم كتابة الحديث، وكانت هناك ظروف توجب كتابته.

وبدأ الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون.

ويقول أيضًا:

ولقد اشتهرت كتابة عبد الله بن عمرو لكل ما يصدر عن الرسول ﷺ، حتى لقد نوقش في ذلك من بعض القرشيين: يقول رضي الله عنه، حسبما يروى في سنن الدارمي وغيره: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ، أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ! ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتاب. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه، وقال: **«اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق»**.

وروى عن أبى هريرة - كما يذكر الترمذى - أن رجلا من الأنصار كان يشهد حديث رسول الله ﷺ، فيسأل أبا هريرة فيحدثه، ثم شكا قلة حفظه إلى الرسول ﷺ، فقال له النبى ﷺ: **«استعن على حفظك بيمينك»** .. أى بالكتابة.

وروى عن رافع بن خديج كما يذكر فى كتاب (تقييد العلم) أنه قال: قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟

قال: اكتبوا ولا حرج.

مع أنه قد روى عن رسول الله ﷺ، أنه كتب كتاب الصدقات والديات، والفرائض والسنن لعمر بن حزم وغيره كما يروى ذلك صاحب كتاب (جامع بيان العلم وفضله).

ويروى كيف كان الصحابة ينقل بعضهم عن بعض، فعروة بن الزبير رضي الله عنه ينقل عن خالته السيدة عائشة رضوان الله عليها، فتقول له: يا بنى إنك تكتب عنى الحديث، ثم تعود فتكتبه.

فقال لها: أسمعه منك على شىء. ثم أعود فأسمعه على غيره.

فقالت: هل تسمع فى المعنى خلافًا؟

قال: لا.

قالت: لا بأس بذلك.

فالحديث عن السيدة عائشة رضى الله عنها، يقودنا إلى معرفة الكثير من السنة، وأيضًا الكثير من أخلاقيات الرسول

وسلوكياته وشخصيته ﷺ.

تلك الشخصية الأسرة التى قال عنها سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾.

[**آل عمران**: ٣١]

فطاعة الرسول من طاعة الله.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾.

[**الأحزاب**: ٣٦]

وفى هذا البحث الموجز.. إشارة إصبع إلى سيرة حياة الصدِّيقة بنت الصديق.. السيدة عائشة رضى الله عنها.. حيث نرى الذكاء الوقاد.. ونرى الإيمان العميق.. ونرى الحب مجسدًا فى حبها لرسول الله ﷺ، وما يعترى هذا الحب البشرى من حرص على الرسول وغيرة عليه.. شأنها شأن أى امرأة تحب زوجها.

إنها صورة مشرقة للمرأة المسلمة التى جعل منها الإسلام وتعاليمه.. تلك السيدة العظيمة التى سيظل اسمها خالدًا أبد الدهر.. لأن هذا الاسم يقترن بأعظم وآخر رسل السماء محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

مأمون غريب

- ١ -

بزوغ النبوة وتبليغ الرسالة

كانت شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام بلادًا تكاد تخلو من الحضارة.. وربما لأن معظمها صحراء جرداء فقد أدى ذلك إلى عدم طمع القوى الكبرى فيها من أمثال دولة الفرس أو الرومان، فلم يجدوا فيها إلا مجرد جبال وصخور وصحراء بلا ثروات تغرى بالاستيلاء عليها أو التحرش بالقاطنين فيها، باستثناء الجزء الجنوبى (اليمن)..

حيث كان يسقط عليه الأمطار بانتظام وبالتالى أقيمت على أرضه حضارة وعمران، مما أغرى بالأحباش أن يحتلوها، ثم احتلها أيضًا من بعدهم الفرس.

وكانت مكة لهـا مكانة خاصة لأن بها بـيت الله الحرام، الذى أقام قواعده إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، ومن هنا فقد كان مقدسًا عند العرب الذين يحجون إليه، ويذكرهم بإبراهيم وإسماعـيل، كما أن مكـة أصبحت مكانًـا للتجارة يرد إلـيها تجارة اليمن وتجارة الشام، كما أن أهلها أيضا أصبحوا يقومون برحلتى الشـتاء والصيف، رحلة الـشتاء للتجـارة إلى اليمن، ورحلة الصيف للتجارة إلى الشام. .

وهذه التجارة. . بجانب الموقع الممتـاز لمكة جعل لها قيمة خاصة عند العـرب، وجعلها قريبة من الحضـارة لتوافد الناس عليها إما للحج أو للتجارة.

وفى مكـة ولد الرسـول ﷺ، بعد زواج أمـه آمنة بـنت وهب بوالده عبـد الله بن عبد المطلب، الذى لم يمكـث معها أكثر من عشرين يومًا، وخرج بعـدها للتجارة إلى الشام، غير أنه مرض وهو فى طريق العـودة، ودفن فى يثرب عند أخوال جده من بنى النجار.

وكـان تاريخ أجـداد محـمد بن عـبد الـله تاريخ مـلىء بالأمجـاد، فجده الرابع (قـصى) هو الذى أخرج خـزاعة من مكة، وقام هـو بدلا منها برعايـة بيت الله الحرام، كـما أقام (دار الندوة) ليجتمع فيها زعماء مكة للتشاور فيما يخصهم من

أمور، فقد كان يعيش فى مكة اثنا عشر بطنًا، من هذه البطون (بنو عبد مناف) جد النبى ﷺ، و(بنو تيم) أجداد أبى بكر، وغيرهما من البطون التى ينسب إليها أعلام صحابة الرسول ﷺ فيما بعد.

والتاريخ يحكى لنا كيف ولد الرسول ﷺ يتيمًا، فقد مات والده وهو لا يزال فى بطن أمه، فكفله جده عبد المطلب، الذى أرسله إلى البادية، حيث أرضعته حليمة السعدية، فى بادية بنى سعد، مدة عامين، ثم أعادته إلى أمه، ولكنها كانت قد اعتادت على هذا الطفل الجميل، التى تبدو عليه مخايل الوسامة والذكاء، وأخذته مرة أخرى لمدة ثلاث سنوات، وفى تلك السنوات التى عاشها محمد فى البادية، بدا عليه الصحة الوافرة، والذكاء المتقد، كما كان قدومه على حليمة قدوم سعد، فقد بارك الله فى رزقها، وأكثر عليها النعم، فتعلقت بهذا الطفل الصغير تعلق الأم بوليدها.

ولكنها لاحظت على الطفل كثرة التأمل.. وكثرة النظر إلى السماء.

وعاد الصغير إلى أمه، والتى حملته معها إلى يثرب لزيارة قبر والده الحبيب ومعها خادمتها بركة،.. كان محمد

ابن عبد اللـه فى عامه السادس عندمـا ذهب مع والدته لزيارة قبر والـده الحبيب الذى لم يـره قـط، وليـزور أخـوال جده عبد المطلب من بنى النجار.

كـانت الرحلـة بين مكة ويـثرب رحـلة شاقـة فى قـيظ الصيف، وحر الصحراء.. ولكن الأم المحـبة لزوجها تحملت هذا السفر الشاق، وفى طريق العـودة، لم تتحمل آمنة مشاق هذا السفر الطويل، ومرضت، وفـارقت الحياة، وهى تحتضن وليدها - عند الأبواء - ورأى الطفل الصـغير أمه وهى تفارق الحياة.. كما شاهدها وهى تدفن فى قبر فى الصحراء.. لقد بكى طويلا وظل هذا الحادث فى ذاكـرته طوال حياته.. حتى إنه روى عنه قوله:

- لقد ولدت والحزن رفيقى.

بل إنه وقف عند قبر أمه.. وقد اقتربت حياته هو الآخر على الانتهاء... يوم ذهـب لحجة الوداع.. وعند الأبواء.. زار قبر أمه.. وبكى.. وهو يتذكر الحنان الخالد الذى شاهده فى طفولته وهو يوارَى التراب.

وقد عبرت السـيدة عائشة أم المؤمنين وكانـت فى صحبة زوجها الكريم فقالت:

«حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بنا على قبر أمه وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه ﷺ».

وعاد اليتيم إلى مكة حيث احتضنه جده عبد المطلب، والذى كان يجلسه إلى جانبه فى مجلسه الخاص عند الكعبة.. حتى إن الناس كانت تناديه بابن عبد المطلب، ولاعتزاز النبى ﷺ بجده الذى رعاه بحبه ورعايته أيام طفولته اليتيمة، قال فى موقف من المواقف الخالدة فى الإسلام، فى أحد معاركه الكبرى.. يوم ذهب لغزوة (حنين).. لقد قال الرسول ﷺ وسط جنوده المقاتلين:

«أنا النبى لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب».

[البخارى ومسلم]

وعندما مات عبد المطلب رعاه عمه أبو طالب، وحنا عليه نفس الحنو الذى كان يحنو به عبد المطلب.

وشب الصغير وهو فى رعاية عمه، ولم تعرف عنه مكة اللهو كما يلهو الشباب، ولا عرفت عنه عبث الشباب، ولكن عرفت فيه الرجل الصادق الأمين.. عفيف اللسان.. شجاع العقل والقلب.. يفيض رقة وحنانًا على الضعفاء والمساكين.. مكتمل العقل.. قوى الحجة، فصيح اللسان.

وقد صحبه وكان من المقربين إليه أبو بكر بن أبى قحافة.. وكان شابًا رقيق القلب.. أبيض اللون.. نحيفًا.. بارز الصوت.. يحبه الناس ويثقون به لفصاحته، ولأنه كان تاجرًا ناجحًا.. يقوم بتجارة قريش إلى الشام وإلى اليمن. وكان بجانب شخصيته الجذابة حافظًا لأنساب العرب وأشعارهم وحكمهم.

لقد ارتبط أبو بكر بمحمد.. وأحب كل منهما الآخر.. ومرت الأيام.

وبينما كان محمد يتعبد كعادته فى غار حراء نزل عليه الوحى، وكانت أول آيات القرآن الكريم: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)**﴾.

[**العلق**: ١ - ٥]

وبنزول هذه الآيات.. بدأت مسئولية الرسول الجسيمة فى تبليغ رسالة السماء إلى البشر.

لم يكن الأمر سهلا ولا هينا.

فمكة التى عاشت على عبادة الأسلاف.. هؤلاء الذين كانوا يعبدون الأصنام حول الكعبة.. كان من الصعب أن تستجيب لدعوة من يطلب منهم نبذ هذه الأصنام التى لا تنفع ولا تضر.

لقد شعر الرسـول بعظم المسئولية . . مسئـولية رسالة الله إلى خلقه .

وكان رد الـفعل لما رآه الـرسول ﷺ فى (غـار حراء) . . عندما نزل عليـه جبريل عليه السلام ، وضمه إلى صـدره ثلاثًا ، ثم نزول أول آيات القرآن الكريم . . أن عاد النبى إلـى بيته مرتجفًا وهو يردد :

دثرونى دثرونى .

وقال لزوجته خديجة بنت خويلد :

لقد رأيت يا خديجة ما أفزعنى ، وما جعلنى أهيم فى الصحراء خوفًا على نفسى من أن أكون شاعرًا أو كاهنًا أو مجنونًا .

ولا أكره شيئًا أكثر من أن أكون أحد الثلاثة .

وقص عليها كيف التقى بجبريل ، وكيف أخبره بأنه سيكون نبى هذه الأمة . . وأنه قال له :

- أبشر يا محمد . أنا جبريل . . وأنت رسول الله إلى هذه الأمة .

وأخبرها كيف ضمه إليه ثلاثا وهو يطلب منه أن يقرأ والرسول يقول له : ما أنا بقارئ إلى أن تلا عليه الآيات

الكريمات. . فلما قرأها. . ارتفع جبريل عن الأرض حتى اختفى عن نظر الرسول.

قالت له خديجة: أبشر يا ابن عم. . واثبت. . فوالله إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة.

وخرجت خديجة إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) لتحكى له ما حكاه زوجها عما رآه فى غار حراء.

فقال لها ورقة بن نوفل:

لئن كنت صدقتنى يا خديجة، لقد جاءه الملك الأكبر الذى كان يأتى موسى، فقولى له فليثبت ولا يخشى شيئًا وعادت خديجة لتجد الرسول، قد نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾ [المدثر ١: ٧].

ونظرت إليه زوجته الطاهرة خديجة وهو يردد ما أوحى له به ربه، فقال لها خاتم الأنبياء والمرسلين:

لقد انتهى يا خديجة عهد النوم والراحة، فقد أمرنى ربى أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلى عبادة إله واحد، فمن ذا أدعو، ومن ذا يجيب؟

و. . كانت خديجة أول من آمنت به من النساء.

وكان من الطبيعى أن يدعو صديقه أبا بكر للإيمان بهذا الدين الجديد. . ويقص عليه ما رآه فى غار حراء من أمر الملاك جبريل عليه السلام.

وكان أبو بكر يعرف ما هو محمد فى صدقه وعفة لسانه، واستحالة أن يكذب على الله، فما كان منه أن أعلن إسلامه على الفور. . حتى إن الرسول ﷺ قال عنه:

«ما دعوت أحدًا للإسلام إلا كانت له كبوة غير أبى بكر».

ويقصد بالكبوة التردد.

وبإسلام أبى بكر أسلم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير ابن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح. .

كما أسلم من الصبيان على بن أبى طالب الذى تربى فى بيت رسول الله.

وبدأت الدعوة فى أول أمرها سرية إلى أن أمر الله رسوله بأن يجهر بهذه الدعوة عندما نزل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**

﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ .

[الشعراء : ٢١٤ -٢١٦]

* * *

وجهر الرسول ﷺ بالدعوة .

وثارت مكة ثورة عارمة .

ورأت فيما يدعو إليه الرسول تعريضًا بآلهتهم، واحتقارًا لشأنهم . . وأن هذه الدعوة ستجرئ الضعفاء على السادة . . وجن جنون مكة .

أخذت فى تعذيب المستضعفين من المسلمين، وكان من ضحايا هذا التعذيب ياسر وسمية وابنهما عمار .

وشاهد الرسول ﷺ ما يفعله أبو جهل بآل ياسر وقال لهم :

«صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

وقال له ياسر :

- الدهر هكذا يا رسول الله .

وقالت زوجته سمية للرسول :

- أشهد أنك رسول الله، وأن وعدك الحق .

وقال عمار بن ياسر لمن يعذبه:

- هذه أجسامنا بين أيديكم يا أعداء الله، فاصنعوا بها ما شئتم. . فالموعد الآخرة، والله يحكم بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين.

وكانت سُمية أول شهيدة فى الإسلام، وتبعها زوجها ياسر وكان الشهيد الثانى فى الإسلام بعد زوجته سمية.

وزاد الضغط والعذاب على عمار، والكفار يطلبون منه أن يذكر آلهتهم بخير، حتى اضطر تحت وطأة العذاب أن يذكر آلهتهم بخير. . وتركوه، وذهب دامع العينين إلى الرسول يخبره بما حدث، فقال له الرسول ﷺ:

- يرحمك الله يا ابن سمية. أخذك الكفار فغطوك فى الماء حتى قلت ما قلت. فإن عادوا فعد.

ثم قال له الرسول ﷺ:

- فكيف تجد قلبك؟

قال عمار:

- أجده مطمئنًا بالإيمان.

ونزل قوله تعالى فى أمر عمار: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ**

إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

ولم ينج عمار من العذاب إلا بالهجرة إلى الحبشة، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة.

وظلت مكة على عدائها للدين الجديد.

وبلغ من تعنتها مع الرسول أن طلبت من الرسول المستحيل أو بصورة أدق ما صوره القرآن الكريم:

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء ٩٠: ٩٣].

ووسط هذا الجو الذى عاشه الرسول وأصحابه، ووسط هذه الظروف التى عاشها كفار مكة وموقفهم المتعنت والمتسلط من الدعوة.. أسلم بعض كبار رجالات مكة كحمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب.. واقترح عمر على الرسول أن يخرج المسلمون إلى الكعبة جهرة، حتى تعرف قريش قوة

المسلمين، وخرج المسلمون بالفعل وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب، وكان عددهم أربعين رجلا، ولم تجد مكة أمام موقف الرسول إلا مزيدًا من الإيذاء للمسلمين، وزاد من طغيان مكة أن فرضت حصارًا ظالـمًا على بنى هاشم والمسلمين فى شعب مكة، بعد أن حررت وثيقة ظالمة.. تعاهدت فيها على مقاطعة بنى هاشم، وعدم الزواج منهم، وعدم البيع أو الشراء منهم، حتى أيقنت مكة أنها بهذا العهد أو تلك الوثيقة كانت ظالمة أشد ما يكون الظلم لبنى هاشم.. حصار ظالم استمر قرابة ثلاث سنوات.. إلى أن أيقنت أن صنيعها هذا لا يليق بها.. وأنه خزى وعار لهم فنقضت هذه الصحيفة..

وأمام تعنت مكة.. هاجر من المسلمين من هاجر إلى الحبشة وأخذ الرسول ﷺ بما أوتى من عزم وقوة يبلغ رسالة الله إلى الناس، دون ضعف أو تخاذل رغم كل جبروت المشركين، ورغم إيذائه وإيذاء أصحابه.

وفقد النبى زوجته خديجة، وبعدها عمه أبو طالب.. وحزن حزنًا شديدًا لفراقهما.. فطالما وقفا بجانبه يذودان عنه أذى المشركين.

.. واتجه إلى الطائف لعله يجد هناك من يتبع دينه فتقوى شوكة المسلمين، ولكنه لم يجد من زعمائها إلا الصلف والتعنت وإغراء الأطفال والسفهاء به، حتى دميت قدماه ﷺ وهم يلقون عليه الحجارة والطوب، حتى إنه التجأ إلى سور بستان، وتوجه إلى ربه بكل كيانه داعيًا:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك.. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي طريق العودة آمن به طائفة من الجن، عند خروجه من الطائف، أو كما يقول القرآن الكريم: **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**

وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .
[الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]

وقال سبحانه وتعالى فى سورة الجن: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ .
[الجن: ١ - ٦]

عاد الرسول وكان معه زيد بن حارثة، وأجاره المطعم بن عدى الذى خرج معه وأولاده، متقلدو السيوف، حيث دخل معه المسجد ولم يتعرض له أحد.

* * *

وإذا كان الناس فى الطائف كما فى مكة قد خذلوا الرسول، فإن الرسول كانت له مكانته الكبرى عند ربه، فقد أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلى، حيث رأى ما رأى من آيات ربه

الكبرى.. وعاد من رحلته لا يأبه وهو يعلن ذلك على الناس أيصدقونه أو يكذبونه.. وارتد بعض المسلمين عن الإسلام عندما سمعوا نبأ الإسراء والمعراج.

لكن أبا بكر، عندما جاء من يخبره بما يقوله محمد ﷺ عن الإسراء والمعراج كان رده:

– إن كان قد قال ذلك فقد صدق، وأصدقه فى أبعد من ذلك، ومن هنا لُقِّب بالصديق.

• • •

ودعا الرسول الناس إلى الإسلام فى أسواق مكة من مختلف القبائل التى تأتى إلى مكة، ثم كانت بيعة العقبة الأولى، وإرسال الرسول مصعب بن عمير، ليكون أول سفير فى الإسلام للنبى إلى يثرب، وأسلم على يديه عدد كبير من أهل يثرب.. ورأى الرسول فى منامه دار الهجرة، فقال لأصحابه:

«أُريت دار هجرتكم، أُريت سَبِخَةً ذات نخيل بين لابتين، ولو كانت السَّراة أرضًا ذات نخل وسِيَاجٍ لقلت هى هى».

وكانت بيعة العقبة الكبرى حيث بايع النبى ﷺ ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين على الإسلام.

وأيقن الرسول تحقيق ما رآه فى المنام من بشرى وهو يرى الإسلام وقد انتشر فى يثرب، فقد عاش الرسول فى مكة يدعو الناس إلى الدين ما يقرب من ثلاثة عشر عامًا منذ أن هبط عليه وحى السماء، ولم يسلم إلا بضع مئات من الناس.. لقد بايعه أهل يثرب على السمع والطاعة.. فقد قال لهم الرسول:

«تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل (يقصد الحرب والسلم)، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فيه لومة لائم. وعلى أن تنصرونى، فتمنعونى إذا منعت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة إن وفيتم».

فأخذ البَرَاء بيده ثم قال:

- نعم، والذى بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنع منه أعراضنا وأحسابنا.. فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب، ورفقاء السلاح، ورثناها كابرًا عن كابر».

و.. كان الأمر الإلهى بالهجرة إلى يثرب، ليتغير مسار التاريخ الإسلامى كله، وتأخذ الدعوة إلى الإسلام طريقها

بسهولة أكبر مما كانت عليه فى مكة، بل ويدخل المسلمون معارك ضارية ضد معاقل الشرك.. ويواجهون قوى الأعداء بالسلاح.. لا استكانة ولا خوف.. ولكن حركة وإقدام، ومبايعة على الموت فى سبيل الله.

وهاجر الرسول.. وكان بصحبته الصديق من مكة إلى المدينة.. بعد فشل مؤامرة المشركين بقتل الرسول، وبعد أن ترك فى فراشه على بن أبى طالب حتى يرد للناس ودائعهم..

وعندما خرج الرسول إلى دار هجرته، اتجه ببصره إلى مكة.. البلد التى عاش فيها طفولته وشبابه، والذى جاءه فيها وحى الله.. وفيها بيت الله الحرام، وقال كلمته الآسرة:

«والله إنى لأخرج منك، وإنى أعلم أنك أحب أرض الله إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت».

* * *

وسط هذه الأحداث الهائلة.

والرسول الكريم يبلغ رسالة الله إلى الناس.. فآمن منهم من آمن.. وأصر على الشرك من أصر.. وولدت عائشة بنت أبى بكر.

ولدت السيدة عائشة والدعوة إلى الإسلام على أشدها ووالدها أبو بكر الصديق أقرب الناس إلى قلب صاحب الدعوة ﷺ، وأشد الناس إيمانًا بها، وتحملا فى سبيلها ما فوق الطاقة البشرية . . فاشترى بلالا رضي الله عنه عندما عرض للعذاب من سيده أمية بن خلف . . وصبر على هذا العذاب، وكلما كانوا يطرحونه على الرمال الساخنة، ويضعون على صدره حجرًا زيادة فى العذاب، لا ينطق إلا بقوله:

- أحد . . أحد .

واشتراه أبو بكر بخمس أوقيات من الذهب وأعتقه . . . وعندما تم الشراء قال أمية لأبى بكر:

- لو أبيت إلا أوقية واحدة لأخذته .

فقال له أبو بكر:

- لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته!

وهذا ما جعل الفاروق عمر بن الخطاب يقول فيما بعد:

- أبو بكر سيدنا . . وأعتق سيدنا!

وقد اشترى الصديق عبدين وخمسة إماء . . اشتراهم وأعتقهم حتى إن والد الصديق قال له:

- أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك فعلت ما فعلت وأعتقت رجالا جُلدًا، يمنعونك ويقومون دونك.

فقال له أبو بكر:

- يا أبت إنى أريد ما عند الله.

* * *

جو عبق بأجواء الروح.. ولذة الجهاد فى سبيل الله، وسعادة الإيمان، وجلال اليقين.. وبيئة تهب منها روائح الإسلام وعبقه وأنواره.. ووسط هذا ولدت عائشة بنت الصديق من زوجته (أم رومان).

والأم (أم رومان) كان اسمها زينب أو دعد - مختلف فيه، كما يقول الأستاذ العقاد - واتفقوا على أنها من كنانة..

وكانت قبل بناء الصديق بها - كما يقول العقاد أيضًا - زوجًا لصاحبه فى الجاهلية عبد الله بن الحارث بن سخبرة، وولدت له ابنه الطفيل، ثم مات فخلفه عليها أبو بكر ليحفظ بيت صاحبه وحليفه.

ومن المتفق عليه أنها كانت امرأة ذكية، أسلمت وهاجرت ولقيت عنتًا شديدًا فى سبيل دينها وزوجها، ويروى عن

النبى ﷺ أنه قال:

«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان».

وقد اختلفوا فى سنة وفاتها، فمن قائل:

- إنها توفيت فى حياة النبى ﷺ.

إلى قائل:

- إنها عاشت إلى أيام عثمان رضي الله عنه.

والأرجح فى رواية البخارى أنها عاشت إلى أيام عثمان.

ولا يعرف على التحقيق فى أى سنة ولدت عائشة رضى الله عنها.. ولكن أقرب الأقوال إلى الصدق وأحراها بالقبول أنها ولدت فى السنة الحادية عشرة أو الثانية عشرة قبل الهجرة، فتكون قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها أو قاربتها يوم بنى بها الرسول ﷺ.

ويقول العقاد:

وجملة ما يفهم من وصفها على التحقيق أنها كانت بيضاء، فكان ﷺ يلقبها بالحميراء.

وكانت أقرب إلى الطول لأنها كانت تعيب القصر كما مر فى كلامها عن السيدة صفية.

وكانت فى صباها نحيلة أو أقرب إلى النحول، حتى كانوا يحملون هودجها خاليًا يحسبونها فيه.

قالت فى حديث لها مشهور:

«.. وأقبل إلىّ رهط الذين كانوا يرحلون لى - أى يحملون الرحل على البعير - فحملوا هودجى وهم يظنون أنى فيه. وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم. إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستكثر القوم ثقل الهودج حتى رحلوه ورفعوه، إذ كنت مع ذاك جارية حديثة السن».

ثم مالت بعد سنوات إلى شىء من السمنة كما جاء فى كلامها فى حديث آخر:

«... خرجت مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، فقال ﷺ: **تقدموا فتقدموا**.

ثم قال:

- **تعالى حتى أسابقك**. فسابقته فسبقته فسكت.. حتى إذا حملت اللحم وكنا فى سفرة أخرى قال ﷺ:

تقدموا.. ! فتقدموا.. ثم قال:

- **تعالى حتى أسابقك**. فسابقته فسبقنى، فجعل ﷺ يضحك ويقول:

– هذه بتلك.

وعلمنا من بعض أحاديثها أنها وعكت مرة فتمزق شعرها، ومن ثم كانت وصيتها على ما يظهر بالشعر حيث تقول:

– إذا كان لأحدكم شعر فليكرمه.

وعلمنا من رواة وقعة الجمل أنها كانت جهورية الصوت، تخطب العسكر فى هودجها فى ساحة الحرب فيسمع خطابها.

وعلمنا من جملة أوصافها وأخبارها أنها كانت حية الطبع موفورة النشاط كدأب العصبيين من النساء والرجال.. وكان أبوها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب هذا المزاج ولا مراء.

ويقول العقاد أيضًا:

والظاهر أنها ورثت عنه كثيرًا من خَلقه وخُلقه على السواء.

فقد كان الصديق جميلا حتى جاء فى بعض الروايات أنه لقب بالعتيق لجماله.

وكان نحيلا دقيق التكوين كما هو مشهور.

وكانت فيه حدة طبع مع حدة ذكاء.

وكان كريمًا سريعًا إلى نجدة المعوزين والضعفاء.

وكـان صـادق المقـال لم يؤخـذ عـليـه كذب فى الجاهلية ولا فى الإسلام.

وكان ماضى اللسان قديرًا على إفـحام من يجترئ عليه، وتشبهه السـيدة عائشة فى هذه الخلائق شبـهًا كان يوحى إلى النبى ﷺ كلما سمع مَجيب من يساجلها أن يقول:

– **إنها ابنة أبى بكر.. إنها ابنة أبى بكر!**

* * *

هذه هى عائشة بنت الصـديق.. التى تزوجت الرسول، وكانت أحب أزواجه إلى نفسه..

وهـى التى كـان لـها دورهـا فى حـفـظ أحـاديث الرسول ﷺ، كما كـان لها دورًا سياسيًا خطيرًا فـيما بعد فى خلافة على بن أبى طالب حيث واجهته فى معركة الجمل.!

- ٢ -

هجرة النبى عليه الصلاة والسلام
وزواجه من عائشة

عرف النبى ﷺ الحياة الزوجية المستقرة مع السيدة خديجة فلم يتزوج غيرها فى حياتها.

وفرت له هذه السيدة الفاضلة الحياة الآمنة المستقرة قبل الرسالة وبعدها. وقد ساعدته على أن يعيش حياته التى يحبها.. فقد كان يحب التأمل والتفكير الطويل.

وكان يحب أن يتعبد فى الأيام ذوات العدد فى شهر رمضان من كل عام.

وعندما نزل عليه جبريل عليه السلام فى غار حراء، حيث نزلت أول آيات القرآن الكريم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١ -٥].

عرف النبى أن عهدًا جديدًا قد بدأ فى حياته.. وأن هناك حدثًا ضخمًا قد حدث.. وأن عليه فى مستقبل الأيام حملا هائلا سوف يتحمله.

ولم يكن هذا الحدث سهلاً ولا يسيرًا.

إنه يتلقى الوحى من السماء.

وإنه قد عرف جبريل عليه السلام الذى ضمه إليه، وهو يأمره بقراءة ما نزل عليه من آيات الذكر الحكيم.

ولم يكن النبى يقرأ ولا يكتب.

ولكن كان هذا إيذانًا بأهمية العلم فى الحياة.. وأهمية المعرفة..

ورجع الرسول إلى بيته يرتجف وهو يردد:

«زملونى.. زملونى».

وعندما ذهب عنه الإحساس بالخوف، وأم المؤمنين خديجة تحاول أن تزيل عنه الروع سمعته يقول: «خشيت على نفسى».

قالت له السيدة خديجة:

- «كلا.. والله لا يخزيك أبدًا.. إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقرى الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

ولم تتركه مع مخاوفه بعد أن شاهد ما شاهد، لقد أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.. الذى كان من الحنفاء.. فلم يعبد ما كان يعبده قومه من الأصنام.. ولكنه كان مؤمنًا بالله، قارئًا للتوراة والإنجيل.. واثقًا من البشارات التى جاءت بها عن النبى الخاتم.

وما كاد ورقة يسمع من الرسول ما سمع، عما حدث له فى غار حراء.. حتى تهلل وجهه.. فهذه البشارات التى قرأ عنها سوف تتحقق.. وأن محمدًا هو النبى الخاتم.. قال له ورقة:

هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى، يا ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

قال الرسول ﷺ متعجبًا:

- **أمخرجى هم؟**

قال ورقة:

- نعم.. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عُودى، وإن يدركنى يومك هذا أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ولكن ورقة مات بعد ذلك بقليل، ولم يدرك الرسول عندما حاول قومه قتله، وأراد له الله أن يهاجر من مكة إلى يثرب.

انقطع الوحى فترة، حتى اشتاق الرسول إلى رؤياه.. فلم يعد خائفًا من لقاء جبريل.. بل كان مشتاقًا إلى أن يرى هذا الملاك الكريم..

وحزن حزنًا شديدًا لانقطاع الوحى، إلى أن عاوده الوحى وقد جاء فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله:

سمعت رسول ﷺ يقول:

«بينما أنا أمشى سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصرى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء.. قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجبنت منه فرقًا حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلى فقلت: زملونى.. زملونى.. فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ - ٥].

وتتابع الوحى.

وبدأت الدعوة.. وكانت سرية فى أول أمرها.

وكان أول من آمن بها من أصدقائه أبو بكر الصديق، وكان أول من آمن بها من الصبيان على بن أبى طالب، كما آمن به زيد بن حارثة.. وكان عبد خديجة ثم وهبته للرسول.

وزيد هذا كان قد فقده والده، ولما علم فيما بعد أنه بمكة ذهب إليها، وخيَّر ابنه أن يعود معه، أو أن يظل مع الرسول، فآثر زيد أن يظل مع الرسول.. حتى إن والده قال له:

– يا زيد تختار العبودية على أبيك وأمك!

فقال زيد:

– إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذى يفارقه أبدًا...

ومن هنا أحبه رسول الله، وأعلن أمام الملأ من قريش:

– **اشهدوا أن هذا ابنى وارثًا وموروثًا!**

وقد ظل كذلك إلى أن نهى الإسلام عن التبنى عندما نزل قوله تعالى: **﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾** [الأحزاب: ٥].

وبدأت الدعوة تشق طريقها إلى القلوب والعقول. .

وبدأ رد الفعل العنيف من جـانب مكة نحو المسلمين. . وزاد من تعذيبهم للأرقاء والضعفاء. . حتى اضطر البعض إلى الهجرة إلى الحبشة.

ثم بلغ طغيان مكة أقصى مـداه. . عندما فرضت حصارًا غاشمًـا على بنى هاشم والمسـلمين. . لا يبتاعـون منهم، ولا يتزوجون. . وحاصروهم فى شعب من شعاب مكة!

وقد لبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنوات إلى أن ثابت مكة إلى رشـدها. . وانتهى أمر هـذه القطيعة الـظالمة، ولكن الرسول ظل يدعو إلى الإسلام. . غير عابئ بمشركى مكة.

وفى ظل هـذه المحنة القاسـية ظلت خـديجة صـابرة مع زوجها لا يلين لها قناة. .

وكذلك كان عمه أبو طالب.

ولم تلبث أن ماتت أم المؤمنين خديجة. . وبعدها بأيام. . وقيل خمـسة وثلاثين ليلة مات أبو طالب. . وكـان ذلك كما يقول ابن كثـير قبل الهجرة بثلاث سنـوات وسمى العام الذى فقد فيه النبى زوجته خديجة وعمه أبو طالب بعام الحزن.

وقد ظل الرسـول يذكر زوجتـه خديجة طوال حـياته. .

ومن ذلك مـــا رواه الإمـــام أحـمـد عـــن عائشة رضـى الله عنها قالت:

كان النبى ﷺ إذا ذكـر خديجة أثنى عليها بـأحسن الثناء فغرت يومًا فقلت:

- مـا أكثـر ما تذكرها حـمراء الشدقين، قـد أبدلك الله خيرًا منها.

قال: «**ما أبدلنى خيرًا منها، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، واستنى بمالها، إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها، إذ حرمنى أولاد النساء**».

* * *

وقد اختلف الرواة فى أيهمـا مات قبل الآخر أبـى طالب أو خديجة.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة:

«وقد مات أبو طالب قبل خديجة على أصح الروايات.

وقيل كانت وفاته قبلها بثلاث ليال.

ويذكر بعض الرواة أن وفـاتها كانت قبل وفـاته بنحو من خمس وثلاثين ليلة.

وأن الراجح أن وفاته كانت قبل وفاتها.

ومهما يكن الأمر فى المقدم والمؤخر، فإن وفاتهما أورثت حزنًا شديدًا للنبى ﷺ».

وكان هذا الذى سماه الرسول عام الحزن قبل هجرته إلى مكة بثلاث سنوات.

ولمكانة السيدة خديجة عند ربها، فقد بشرت ببيت فى الجنة من قصب:

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال:

«أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله.. هذه خديجة قد أتت بإناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هى أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

النصب هو اللؤلؤ.

* * *

لم ينس الرسول قط هذا الزواج السعيد من السيدة خديجة.. وقد امتد هذا الزواج.. وكانت نعم الزوجة الصالحة للنبى الخاتم ﷺ.. لقد تزوجها فى ريعان شبابه إلى أن تجاوز سن الشباب.. وكانت هى الزوجة الوحيدة له فلما

انتقلت إلى جوار ربها أحس بـالحزن الشديد ورأت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن تعرض على النبى من تؤنس وحدته وتكون له سندًا، وعرضت عليه أن يتزوج.

وسألها: مـن؟

قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا.

فسألهـا عـن البكـر فقـالـت: عائشـة بنـت أحـب خلق الله إليك.

وسألها عن الثيب فذكرت (سودة بنت زمعة).

ولاقى هذا الاقتراح صدى طيبًا عند الرسول.

وذهبت خولـة بنت حكيم إلى أم رومان زوجـة الصديق وأم عائشة.

قالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟!

قالت أم رومان: وما ذاك؟

قالت خولة: أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة.

وكان من الطبيعى أن تنتظر الصديق لتعرض عليه الأمر.. كان الصـديق يرى أن محمـدًا أخـاه.. ومـن هنا بـرز فى ذهنه تساؤل:

- وهل تصلح له وهى بنت أخيه؟

ولما سألت الرسول قال لها:

- قولى له: أنت أخى فى الإسلام وابنتك تحل لى.

وتقول الروايات أن عائشة كانت مخطوبة لجبير بن مطعم ابن عدى.. وكان لا يزال على الشرك.. وأن أبا بكر توجه إلى مطعم وزوجته حتى يعرف رأيهما.. وهل ما زالا عند وعدهما بأن تتزوج عائشة من جبير؟

إلا أن الأم قالت له إنها تخشى من هذا الزواج، حتى لا يكون هذا الزواج سببًا فى أن يصبأ ابنهما.. ووافقها الأب على ذلك.. ومن هنا فقد تحرر أبو بكر من هذا العهد.. وأنه أبرأ ذمته.

وتمت خطبة النبى ﷺ إلى عائشة وكان ذلك فى شوال سنة عشر من الدعوة.

أى قبل الهجرة بثلاث سنوات.. وقدم لها النبى ﷺ صداقًا (أربعمائة درهم) كما تقول معظم الروايات.

* * *

ومرت ثلاث سنوات حدث فيها الكثير من الأحداث.

إلى أن أوحى الله إلى الرسول بالهجرة إلى يثرب، بعد

أن تآمـرت قريش على قـتل رسول اللـه، وكان النبى عـقب عودته مـن الطائف . . كان يعـرض نفسه علـى القبائل لعـلها تؤمن بالإسلام . . وحدث أن بايع نفـر من أهل يثرب الرسول فى بيعة العقبة الأولى .

ثم بايعه عدد مـنهم (٧٣ رجلا وامرأتان) فى بيعة الـعقبة الكبرى . . وكان الإسلام قد انتشـر فى يثرب بفضل أول سفير للإسلام بها وهـو مصعب بن عمير . وكـان النبى قد رأى فى منامه، وقال لأصحابه :

«أُريت دار هجرتكم . . أُريت سَبَخَةً ذات نخيل بين لابتين . ولو كانت السَّراة أرضًا ذات نخل وسباخٍ لقلت : هى هى» .

. . وعندما عُرف انتشار الإسـلام فى يثرب، فرح الرسول وعرف أن رؤياه قد تحققـت وأنه آن الأوان لأن يهاجر من مكة التى يتآمر عليه أهلهـا من المشركين، وأن عدد المسلمين لم يزد عن بضع مئات رغم طول دعوته إلى الإسلام فى مكة .

وفى بيعة العقبة الكبرى قال الرسول لهم :

- تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط (الحرب) والكسل (السلم) والنفقة فى العسر واليسر . وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقولوا فى الله لا تخافوا

لومة لائم. وعلى أن تنصرونى، فتمنعونى إذا قدمت عليكم بما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ولكم الجنة إن وفيتم».

وقال البراء:

- نعم، والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أعراضنا وأحسابنا. فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب، ورفقاء السلاح، ورثناها كابرًا عن كابر.

وقال لهم الرسول:

« أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبًا، ليكونوا على قومهم بما فيهم كفلاء ».

فأخرجوا له تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس فقال لهم ﷺ:

«أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم.. وأنا كفيل على قومى».

قالوا: نعم.

فلما بايعوه قالوا له: يا رسول الله، ما لنا بذلك، إن نحن وفينا.

قال: « **لكم الجنة إن شاء الله** » [مسند أحمد].

* * *

وهاجر النبى إلى المدينة بعد أن أمر أصحابه بالهجرة حيث استقبل استقبالا حافلا من أهلها. . وعندما نزل قباء بنى مسجد قباء وبعد أربعة أيام توجه إلى المدينة. . حيث تكالب الناس على راحلة رسول الله. الكل يريد أن يكون النبى ضيفًا لديه. ولكنه كان يقول لهم:

- **دعوها.. (أى الراحلة) فهى مأمورة.**

وبركت الناقة عند دار أبى أيوب الأنصارى. . وكان ذلك فى الثانى عشر من ربيع الأول.

وكان أبو أيوب أسعد الناس بتلك الضيافة. . ونزل الرسول فى الطابق الأول من هذا المنزل، بينما سكن فى الطابق الثانى أبو أيوب وعندما نزل ﷺ من فوق ناقته متجهًا إلى مسكنه. . نزل وهو يقول:

﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

وكانت المدينة تضم قبيلتى الأوس والخزرج واليهود وبعض الذين لم يسلموا بعد من هاتين القبيلتين، وكان لا بد

أن ينظم الرسول هـذا المجتمع الجديد . . فأخى بـين المهاجرين والأنصار، وظـهرت صحيـفة المدينة التـى أمّن الرسول فيـها اليهود عـلى أموالهم وممتلكاتهـم وحريـة ممارستـهـم العبـادة علـى دينهـم، كـمـا وضـح فى هـذه الصحيـفة حسن الجوار بين الـيهـود والمسـلمين، عـلى ألا يـغدروا بـالمسلـمين، ولا يساعدوا أعداءهم . .

وأصبـحت المدينة دولـة لها دستـورها، وأصبح الـرسول يجمع بين السلطتين الروحية والسياسية.

ولكن الـيهود كـعادتهم دائـمًا . . لم يحـافظوا علـى ما تعاهدوا عليه مما اضطر النبى إلى محاربتهم بعد ذلك.

* * *

وفى ظل هذا المجتمع الجديد . . كان لا بد من بناء مسجد يجتمع فيـه المسلمون للصلاة ولتدبير أمور حـياتهم فى الحرب والسلم.

وبنى المسـجد بسواعد المسـلمين من المهاجـرين والأنصار وكان النبى يعـمل معهم فى البناء . . وجعلوا مـحراب المسجد نحو الشمال (تجاه بيت المقدس) . . وفتحوا فيه ثلاثة أبواب . . أحدهمـا ينفذ إلى الحجـرتين اللتين بناهـما الرسول لزوجـتيه عائشة، وسودة.

وكانــت هــذه الحجــرات مـن اللَّبِـن وعلى أبوابـهـا المسوح (الجلود).

وكانـت الحجرة الـتى أعدها لعـائشة فـى غاية التـواضع بحيث يـستطيع الواقف فيـها أن يلمس بيده الـسقف.. وفى داخلها جَـرَّة للماء، وطست من الـفخار، وسرير عـبارة عن خشبتين مشـدودتين بحبال، وفوقه قطعة من القـطيفة القديمة، أما الوسادة فمن الليف!

هذا هو كل أثاث بيت رسول الله!!

• • •

أما المسـجد فقد بنـى على مساحـة تبلغ خمسـة وثلاثين ذراعًا طولاً، وثلاثين ذراعًا عرضًا، وقد قـام بتوسعته الرسول مرة أخرى عندما زاد عدد المسلمين وأقبل إلى المدينة من هاجر من المسلمين إلى الحبشة فأصـبح خمسين ذراعًا طولاً وخمسين ذراعًـا عرضًـا، هذا المسـجد الـذى اتسع مع كـل عصـر من العصور الإسلامية منذ عثمان رضي الله عنه إلى أن أصبح ما هو عليه الآن من اتساع يستـطيع استيعاب المسلمـين الذين يأتون لزيارة قبر نبيهم ومسجده من مختلف بقاع العالم الإسلامى.

وانتقل الرسول إلى بيته بجوار مسجده عندما بنى بعائشة.

وتقول عائشة عن قصة زواجها بالرسول ﷺ:

لما جئنا المدينة أنزلنا أبى فى بيت رجل من الأنصار، فأقمنا فيه أشهرًا. وبينما كنت فى يوم ألعب مع بنات الأنصار إذ أقبل الرسول ﷺ على بيتنا وحوله رجال من المهاجرين والأنصار، فخرجت أمى تطلبنى وقادتنى إلى البيت، وأنا أتصبب عرقًا من اللعب، فمسحت وجهى بالماء، وألبستنى ثوبًا نظيفًا، وأخذتنى إلى رسول الله ﷺ وقالت:

– هذه عروسك يا رسول الله. فبارك الله لك فيها وبارك لها فيك.

وأخذ أصحابه يباركون ويهنئون، وأصبحت من هذا اليوم زوجة رسول الله ﷺ.

ونقلنى الرسول إلى بيته الذى فى جوار المسجد، وكان النبى ﷺ رفيقًا بى، فقد كنت حديثة السِّن. . محبة للعب، يدخل علىَّ البنات فى بيتنا فألعب معهن.

ويرانا الرسول فيقول: ما هذا؟

فنقول له: نلعب خيل سليمان فيضحك.

وكان يدخل علىَّ فيرانى مع صواحبى، فتتحرك له البنات تريد الخروج فيقول لهن:

- **مكانكن**. ويستبقيهن عندى، ويخرج الرسول دون أن يقطع علينا لهونا. وكان أحيانًا يأتى بصواحبى يلعبن معى.. يريد أن يسرنى بذلك.

وكان ﷺ أوسع صدرًا من والدى، فلقد دخل علينا أبو بكر فى يوم الأضحى، وعندى جاريتان تضربان بالدُّفِّ فانتهرهما أبو بكر.

وقال: أتعملان هذا فى بيت رسول الله؟

فقال له الرسول: «**دعهم يا أبا بكر.. إن لكل قوم عيدًا، وإن عيدنا هذا اليوم**».

وكان يحب أن أشاهد اللهو من وراء حجاب، فقد لعب بعض الحبشة بالحراب أمام بيتنا، فرأيت الرسول ﷺ يقوم على البيت يسترنى بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين كتفيه وأذنه، وظل واقفًا يسترنى حتى انصرفت من نفسى.

ونتابع ما ورد على لسان عائشة رضى الله عنها، كما رواه الأستاذ أحمد التاجى فى كتابه (سيرة النبى العربى).. نقلا عن الإمام البخارى:

تقول عائشة رضى الله عنها:

وكان رفيقًا بى غاية الرفق، يعاملنى كابنته، فكان إذا

دخل عليَّ فوجدنى نائمة مشـى على أطـراف أصابعـه حتى لا يقطع على نومى.

وكنـت أغضـب عنـده وأرضـى، فيتـحملنـى فـى رضاى وغضبى.

قـال لـى يومًا: **يا عائشة ما يخفى على حين تغضبين وحين تَرْضَين.**

قلت: بماذا تعرف يا رسول الله؟

قـال: **أما حين ترضـين عَنِّى، فـإذا حلفـت قلـت: لا ورب محمد!**

وأما حين تغضبين منى تقولين: لا ورب إبراهيم!

قلت: صدقت وإنى والله لا أعدو سوى اسمك.

أى أن حبك يملأ نفسى فى الحالين، ولكنى فـى الغضب أتجاوز اسمك.

ورفعت مرة صوتى فـوق صوته فى حديث، وسمعنى أبو بكر، وهو قادم علينا فغضب، وهمَّ أن يبطش بى وهو يقول: أترفعـين صوتك فوق صوت رسـول الله! فمنعـه الرسول أن يؤذينى، فلما خرج أبو بكر قـال لى الرسول مازحًا وهو يريد أن يسترضينى: **ألا تعلمين أننى منعت والدك وكان يريد أذاك؟**

ودخل والدى بعدها فوجدنا نضحك فقال: أشركانى فى سروركما كما أشركتمانى فى غضبكما.

قالت عائشة: ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرًا غيرى، وقد تزوجنى بأمر السماء.. فقد رأى فى المنام شخصًا يحمل إليه قطعة من الحرير، وقد نقشت فيها صورة، فلما كشف الرسول عنها وجدها صورتى فتعجب من ذلك. فسأل: **من هذه؟**

فقيل له: هذه امرأتك! فازداد عجبًا وتكرر له هذا مرة أخرى.

* * *

فقد حدثنى رسول الله ﷺ بذلك، فقال: **رأيتك فى المنام مرتين، أرى رجلا يحملك فى خرقة من حرير.**

فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها فإذا هى أنت!

فأقول: **إن يكن هذا من عند الله ينفذه.**

* * *

ثم حدث أن جاءت إلى بيته امرأة مسلمة بعد وفاة خديجة.. وقالت له: يا رسول الله، كأنى أراك قد دخلتك الأحزان لفقد خديجة أأخطب لك؟ ثم ذكرتنى له فعجب

الرسول ﷺ من قولها إذ وافق ذلك ما رآه فى منامه. .

فكان أن خطبنى من أبى وأنا فى مكة، وتزوجنى بعد ذلك فى أول أعوام الهجرة.

* * *

وقد نقلنى رسول الله ﷺ بالزواج منه إلى عالم آخر لم أكن أهتدى إليه بدونه، وعشت معه الحياة التى يرسمها له ربه، حياة النبوة والزهد فى متاع الدنيا، والرغبة فى الآخرة، وتذكر الله فى كل قول وعمل.

فقد علمنى أن الدنيا مزرعة للآخرة. . فلا طلعت علينا شمس يوم لا نتقرب فيه إلى الله ببعض الطاعات، فلم نعد نرى الدنيا دائمًا متاعًا وزينة، وإنما نراها قنطرة تُبلغنا إلى الله.

* * *

فأقمت مع رسول الله ﷺ فى حجرة ضيقة مبنية باللبِن، تمس اليد سقفها، وليس فيها من الأثاث سوى حصير مفروش على الأرض، وسرير مشدود بالحبال، وأوان من فخار تحفظ طعامنا وشرابنا. ولكن لم أشعر بضيق المكان، لأن رسول الله ﷺ قد وسَّع قلوبنا وعقولنا، فجعلها تتطلع على رحاب السموات والأرض، وتتنقل فى ملكوت الله العظيم، فلا

يشعر الإنسان بزمانه ولا بمكـانه، وإنما يشعر أنه من ملك الله الكبير، وأن عـليه أن يطيع صاحب الأمر ويفنـى فى عبادته، فتنسلخ نـفسه شيئًا فشـيئًا من الأرضيَّة، وتسـبح فى العلويَّة، فإذا حدث لـه ذلك هانت عليه الدنـيا وما فيـها، ورضى من الحياة بأقل متاع، وطمع فيما عند ربه من جزاء وثواب.

* * *

وتقول السيدة عائشة أيضًا:

فكان خـبزنا الشعـير أطحنه بـيدى فى الرَّحى، وطعـامنا التمر والماء. وقد تيسر لنا اللبن بعد حين.

ولقد كان يمر الشهر والشهران والثلاثة ولا يوقد فى البيت نار لخبز أو طعام.

ولم يمتلـئ جوف رسول الله ﷺ شـبعًا قط، ولا عـرفنا الشبع من التمر إلا بعد فتح خيبر.

ولم يشك رسول الـله ﷺ إلى أحد حاجة، وكـان الفقر أحب إليـه من الغنى، وكان يـظل نهاره جـائعًا، ويبيـت ليله كذلك، ولا يمنعه هذا من صيام غيره متى طلع النهار.

ولقد بكـيت مرارًا من الشفـقة عليه، إذ كـنت أراه يربط على بطنه الحجر والحجرين ليـسكن ما به. فكنت أمسح بطنه

بيدى وأقول له: نفسى فداك يا رسول الله لو أخذت من الطعام ما يقويك على الصيام؟!

فكان يقول:

«يا عائشة مالى وللدنيا، لقد سبقنى أولو العزم من الرسل، وصبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم وأحسن ثوابهم. وإنى أخاف إن ترفهت فى معيشتى أن يُقصَّر بى غدا عنهم وليس أحب إلىَّ من ألحق بإخوانى وأخلائى».

* * *

وما أكثر ما رواه الإمام البخارى من الأحاديث عن عائشة رضى الله عنها.

كانت بالغة الذكاء. وكانت شديدة الحفظ.

وكانت أثيرة عند الرسول ﷺ... لأنها كان لها دور بارز فى تعليم النساء تعاليم الدين.. فقد طلبت النساء من الرسول ﷺ أن يكون لهن مجلسًا، ولقيهن الرسول فى بيته أو فى أحد بيوت أصحابه كما يروى الإمام البخارى، يعظهن ويعرفهن أمور الدين، وكانت السيدة عائشة تلتقط كل ما يقوله الرسول، وكانت تشرح ذلك للمسلمات.. وكان

الرسول ﷺ يسمح لها، ويلتمس لها العذر عندما تغار من نسائه..

فقد ورد عن عائشة قولها: دخل النبى ﷺ علىَّ يومًا فقلت له:

- أين كنت اليوم؟

قال: **كنت عند أم سلمة.**

قلت: ما تشبع من أم سلمة؟

فتبسم ﷺ لغيرتى منها، ثم قلت:

- يا رسول الله.. ألا تخبرنى عنك لو نزلت بعدوتين (جانبا من الوادى) إحداهما لم ترع، والأخرى قد رعيت، أيهما كنت ترعى؟

قال: **التى لم تُرع.**

قلت: فأنا لست كإحدى نسائك. كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل، غيرى.

فتبسم النبى ﷺ لقولها.

* * *

وكانت عائشة تستفسر من الرسول عن كثير من أمور الفقه حتى يمكنها أن تفسر هذه الأمور للنساء.

وكم صححت السيدة عائشة من أحاديث، وأوردت الحديث كاملاً صحيحًا كما ورد عن رسول الله..

.. فقد سمعت مثلا أن عمر رضي الله عنه كان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ».

فقالت عائشة:

رحم الله عمر. والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه».**

وقالت حسبكم القرآن: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وما أكثر الأحاديث التى روتها السيدة عائشة، وما أكثر ما صححت من بعض الأحاديث التى رويت منقوصة، كما روت أحاديث كثيرة عن كيفية صلاة النبى وتهجده وصيامه وقيامه، وكيف كانت سلوكياته مع زوجاته.

فكانت التلميذة البالغة الذكاء فى مدرسة الرسول، التى استفاد من فقهها الناس، وخاصة النساء عندما كن يسألنها عن بعض الأمور التى تخص المرأة.

منها مـثلا كما يروى فى الصـحيحين (البخـارى ومسلم) عن عائشة رضى الله عنها:

أن امرأة سألت النبى ﷺ عن كيفية طهارتها من الحيض، فعلمها كيف تتطهر وقال لها:

خذى فِرصَةً (قطعة) من مسك فتطهرى بها.

قالت: كيف أتطهر بها؟

قال: **سبحان الله تطهرى.**

فاجتذبتها عائشة إليها وقالت:

تتبعى بها أثر الدم فى قطعة من الصوف.

.. و.. ما أكثر ما يرويه الفقـهاء عن دور السيدة عائشة فى تثقيف النساء فى أمور الدين.

* * *

- ٣ -

حديث الإفك

استقر الإسلام فى المدينة. خاصة بعد أن حقق انتصارًا مذهلا على مشركى مكة فى معركة (بدر).. وعندما حاولت قريش أن تأخذ بثأرها فى (أحد) لم يتحقق لها الانتصار الكامل.. فلولا أن رماة المسلمين عصوا أوامر الرسول عندما طلب منهم ألا يغادروا أماكنهم عندما يلوح النصر..

إلا أنهم تركوا هذه الأماكن بحثًا عن الغنائم، وانتهز خالد بن الوليد وكان لا يزال على دين أبائه وأجداده.. انتهز هذه الفرصة وجاء من خلفهم وأوقع بهم خسائر كبيرة.. ولكن قريشًا خشيت أن تظل فى قتال الرسول حتى لا تنقلب الكفَّة فى غير صالحهم.. فآثروا الانسحاب والعودة إلى

مكة. . ومع ذلك فلم يكن انتصار مكة انتصارًا حاسمًا . .

فقد أصبح للإسلام فى المدينة مكانة مرموقة، حيث يسود العدل وسماحة الإسلام الجميع. . وحيث أصبح المسلمون قوة يخشى عواقب التصدى لها كل القبائل العربية. . وفى ظل هذا المجتمع الذى ينعم بقيم الإسلام الروحية من صلاة وصيام وزكاة. . مما جعله مجتمعًا متآلفًا قويًا يسود أفراده طمأنينة الإيمان. . وجلال اليقين. . وإيثار ما عند الله. . رغم كل ذلك فقد كان هناك بعض المنافقين فى المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أُبَى بن سلول. . الذى كان من آماله أن يصبح ملكًا على يثرب قبل هجرة الرسول إليها، ولم يتحقق له هذا الأمل. . فقد كانت شخصية الرسول الآسرة، وبناؤه للمجتمع الجديد عائقًا بينه وبين تحقيق آماله التى تلاشت، ولم يبق إلا ما فى صدره من غِلٍّ وحسد على المسلمين.

. . وحدث فى شهر شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة أن تناهى إلى سمع الرسول ﷺ أن (الحارث بن أبى ضرار). . سيد بنى المصطلق. . وهم بطن من خزاعة. . وكانوا قد ساعدوا مكة فى قتالها الرسول فى (أحد). . سمع النبى أن الحارث هذا يريد أن يهاجم المدينة، فخرج النبى

لملاقاته. . وطلب منهم الإسلام، ولكنهم رفضوا، فهزمهم المسلمون هزيمة منكرة، وأخذوهم أسرى. . وكان من بين الأسْرة (جُويرية بنت الحارث) التى استغاثت بالرسول، فتزوجها ﷺ، وبالتالى أصبح هذا البطن من خزاعة أصهار الرسول، فأسلموا.

وفى هذه الغزوة تخاصم أجير لعمر بن الخطاب مع رجل حليف للخزرج على الماء. . فقد تنافس كل منهما على أن يكون هو الأسبق إلى الماء، وضرب الأجير حليف الخزرج الذى استنجد بالخزرجيين. . وكادت تكون فتنة، عندما استنجد أجير عمر بالمهاجرين. . ولكن الرسول ﷺ أخمد الفتنة فى مهدها. . وعادت النفوس إلى التآخى والصفاء. . ولكن عبد الله بن أُبى بن سلول الذى كان من آماله أن تندلع الفتنة بين المهاجرين والأنصار، حتى يشفى غليل نفسه، أخذ يثير الناس. . فكان مما قاله للناس وهو يبغى اندلاع الفتنة:

«والله ما رأيت كالليلة مذلّة، قد نافرنا القوم وكاثرونا فى بلدنا، وأنكروا فضلنا. والله ما نحن وهؤلاء إلا كما قال القائل: سَمِّن كلبك يأكلك! ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ!» وقال لقومه:

«هذا ما فعلتم بأنفسكم؛ أحللتموهم فى بلادكم،

وأنزلتموهم منازلكم، وآسيتموهم فى أموالكم حتى استغنوا. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضًا للمنايا! فَقُتلتم دونهم، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا.. فلا تنفقوا على من حوله حتى ينفضوا!!».

وسمع أحد غلمان الأنصار وهو (يزيد بن الأرقم) قول هذا المنافق، فأخبر الرسول بذلك..

وغضب الرسول من هذا المنافق الذى يريد أن يشعل الفتنة بين المسلمين، ويدعو من جديد إلى العنصرية والجاهلية، فقال عمر بن الخطاب:

«يا رسول الله مُرْ به عَبَّاد بن بشر فليقتله وليأتك برأسه».

فقال ﷺ:

«لا.. فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل».

وأمر الرسول أصحابة بالرحيل رغم شدة الحر، حتى تنتهى هذه الفتنة.

والعجيب أن عبد الله بن أُبى عندما علم أن الرسول قد علم بأمر ما كان يضمره من إحداث فتنة، ذهب إلى النبى

ﷺ وأنكـر أنه تحدث بـشيء مما سـمـع! ولـكـن الرســول صمـت ولم يجبه!

ومضى يسير متجهًا نحو المدينة.

ونزل على الرسول قوله تعالى في شأن المنافقين:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢﴾.

[المنافقون: ١ - ٢]

وقال تعالى:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

[المنافقون: ٧ - ٨]

* * *

وقد استغل عبد الله بـن أُبي ما حدث لأم المؤمنين عائشة ليبث سمومه، محاولا زرع الفـتنة بين المسلمين.. فقد حدث أن أسرع النـبي مع أصحـابه إلى المدينة، وكـانـت عائـشة -

رضى الله عنها - معه فى هـذه الغزوة. . وكانت قد تخلفت عن ركب رسول الله ﷺ حين انفرط عقـدها، وأخذت فى جمـعه. . بينمـا ظن المسلمـون أنها فى هـودجها. . فساروا بالهودج على ظن أن أم المؤمنين عـائشة به. . وعندما وجدت السيدة عائشة نفسها وحيدة، لم ترتجف أو تخف، فقد أيقنت أن الرسول سوف يرسـل إليها من يعيدها إلـى المدينة، فظلت فى مكانها. . وأثناء ذلك رآها (صفوان بن المعطل السَّلَمى). . الذى تـخلف هـو الآخر عـن الآخريـن. . بعض الـوقت. . وعندما رآها عـرفها، وأركبهـا بعيره وانطلق بهـا إلى المدينة، التى دخلها فى وضح النهار.

ولم يكن فى هذه القصة شىء يسـتحق أن يثار من حوله الشـبهات، إلا أن عـبد الله بـن أُبى، اتخذ من هـذا الحادث وسيلة لأن ينفث سمومه، ويشـيع ما لا ينبغى، ويقول عن أم المؤمنين ما لا يجب أن يقال. . وبدأ يتحدث عن سبب عودتها مع صفوان، الشاب الوسيم، وردد كلـماته حمنة بنت جحش أخت زينب زوجة الرسـول، لأنها كانت تعرف منـزلة عائشة فى قلـب رسول الله. . كـما فعـل ذلك حسان بـن ثابت. . وبدأت سموم عبـد الله بن أُبى تنتشر، حتـى وصلت الأخبار إلى الرسول، فحزن حزنًا شديدًا، ولم تكن عائشة تعرف عما يدور عنهـا شيئًـا، ومرضت عـائشة ولكن لاحـظت أن هناك

جفاء من قِبل الرسول، فلم يلاطفها كما كان يلاطفها وهى الزوجة الأثيرة إلى نفسه، مما جعلها تطلب من الرسول أن تذهب عند أمها لترعاها فى مرضها، وظلت فى مرضها أكثر من عشرين يومًا، إلى أن عرفت عندما شفيت ما يقال عنها، فحزنت حزنًا شديدًا.

وحزن الرسول لأن ألسنة بعض المنافقين لم تتورع عن الخوض فى حديث الإفك، حتى إنه خطب الناس وقال لهم:

«**أيها الناس:**

ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عنى غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيرًا.. ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى».

وعندما سمع أسيد بن حضير ما قاله الرسول قال:

يا رسول الله. إن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن نضرب أعناقهم.

وكان سعد بن عبادة حاضرًا فرد على أسيد أنه قال ذلك لأنهم من الخزرج! وكادت تحدث فتنة لولا أن احتواها الرسول بحكمته.

وعتبت عائشة على أمها أنها لم تخبرها بما تلوكه ألسنة

البعض عنها، وأخذت تفكر في الأمر. . وآلمها أن يشك فيها أحد، وعندما ذهب الرسول إلى بيت أبي بكر ومعه على وأسامة بن زيد، وسألهما الرأى. . فنفى أسامة أن تكون عائشة قد فعلت ما يشينها. . وأنها بريئة مما نسب إليها، بينما قال على: يا رسول الله إن النساء كثير. . وضرب جارية لعائشة، لأنها عندما طلب منها أن تصدق رسول الله، وكان جوابها:

- والله ما أعلم إلا خيرًا.

وقال لها الرسول:

- يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقى الله إن كنت قد قارفت سوءًا مما يقولون، فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة من عباده.

فقالت للنبى وهى باكية:

والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أنى بريئة لأقولن ما لم يكن ولئن أنا أنكرت لا تصدقونى.

وصمتت برهة وقالت:

أنا أقول كما قال أبو يوسف: صبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

ونزل الوحي ببراءة عائشة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

[النور: آية ١١ وما بعدها]

إلى قوله تعالى:

﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

[النور: ١٦ - ١٩]

ونزلت عقوبة رمي المحصنات:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

[النور: ٤]

وقد طبقت هذه العقوبة على من رددوا حديث الإفك وهم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش. فقد ضرب كل منهم ثمانين جلدة.

ومع الأيام . . عـفا الرسول عن شـاعره حسـان بن ثابت كما طـلب من الصديق معـاملة مسطح كـما كان يعامـله قبل حديث الإفك .

والدارس لأحداث (حديث الإفك) . . يعـرف كيف صبر الرسول ﷺ كـل هذا الصبر، ومـا تحملته الـسيدة عائـشة بما يفوق طاقة البشر . .

وقد ضاق عبد الله الابن من أبيه ابن أُبى ذرعًا وبمكائده، حتى إنه ذهب إلى رسول الله قائلا له :

- «يا رسول الله . . إنه بلغنى أنك تريد قتل (عبد الله بن أُبى) فيما بلغك عنـه، وقلت : من يعذرنى فى رجل آذانى فى أهلى؟ فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى به، فأنا أحمل لك رأسه! فوالله ما علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرَّ بوالده منى . وإنى أخشى أن تـأمر به غيرى فيـقتله، فلا تدعنـى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقـتله، فأقتل رجلا مؤمنًا بكافر فأدخل النار» .

فقال ﷺ : **بل ترفق به، وتحسن صحبته ما بقى معنا .**

وقال الرسول لعمر : **كيف ترى الآن يا عمر؟**

أما والله لو قتلته يوم قلت لى: اقتله لأرعدت له أنفس لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته!

فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى.

و.. انتهت هذه الفتنة

وعادت عائشة كما كانت أقرب النساء إلى قلب زوجها.. الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ.

بقى أن نعرف أن حسان بن ثابت حاول أن ينفى عن نفسه خوضه فى حديث الإفك..

وقال مادحًا السيدة عائشة فى قصيدة يقول فيها:

مهذبة قد طيب خيمها
وطهرها من كل سوء وباطل

فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم
فلا رفعت سوطى إلى أناملى

وهو القائل مدافعًا عن الرسول الكريم ﷺ.. ويهجو من يتعرض له بسوء.. ومن ذلك قوله موجهًا حديثه لأبى سفيان:

هجوت محمدًا فأجبت عنه
وعنـد الله فى ذاك الجـزاء

فـإن أبى ووالـده وعرضى
لعـرض محمـد منكم وقـاء

ولكثرة دفاعه عن الإسلام ونبى الإسلام.. كان بحق هو شاعر الرسول.

* * *

- ٤ -

أحــب الزوجـات

عاشت السيدة عائشة فى كنف الرسول كأحب زوجاته إلى نفسه. وكانت تغار فى كثير من الأحيان، وما يعتريها من الغيرة إلا لحبها لزوجها ﷺ. وبلغت بها الغيرة أنها كانت تغار حتى من السيدة خديجة التى انتقلت إلى جوار ربها.

حتى إنها عندما رأته يكثر من ذكرها ذات يوم، ويتذكر صواحبها اللائى كن يزرنها فى حياتها، قالت له:

- كأن لم يكن فى الدنيا امرأة غيرها.. ماذا تذكر فيها وقد أبدلك الله خيرًا منها؟!

فقال ﷺ:

«ما أبدلنى الله عز وجل خيرًا منها، قد آمنت بى إذ كفر

بى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الولد منها إذ حرمنى أولاد النساء».

حتى إن عائشة قالت: "ما غرت من أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت من خديجة وما رأيتها".

وربما ذبح شاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة.

فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة.

فيقول: إنها كانت وكانت.. وكان لى منها ولد.

وعندما أرسل النبى إلى المقوقس عظيم مصر رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، أرسل المقوقس إليه ردًا ودودًا، ثم أرسل له ببعض الهدايا، ومنهم مارية القبطية التى نشأت فى قصر المقوقس مع أختها سيرين.

وكانت مارية ملمة بالمسيحية.. فوالدها من القبط وأمها رومية.. وجاءت إلى النبى ﷺ لتعرف ما جاء به من رسالة.. كانت فى زى الراهبات.

ورأت مارية الرسول الكريم.. إنسانًا.. بسيطًا.. زاهدًا.. لا يسكن القصور كما يسكنها ملك الروم وحكامهم.. رأت فيه الإنسان الشديد التواضع والزهد

والعبادة لله.. ورأته يشيد بالسيد المسيح كنبى، وأيقنت أنها أمام نبى مرسل، فأسلمت وظلت جارية للرسول.. وأنجبت منه إبراهيم الذى أحبه النبى ﷺ حبًا جمًا لأنه جاء بعد أن تجاوز النبى ﷺ سن الشباب، ولأنه لم ينجب من زوجاته بعد رحيل خديجة.

سكنت مارية.. عالية المدينة.. وكانت جميلة.. محبة للرسول وللإسلام.

وما رأتها السيدة عائشة.. حتى غارت منها كالعادة.. بل إنها شهدت بجمالها.. حتى إنها قالت:

«ما غرت من امرأة إلا أقل مما غرت من مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول الله ﷺ، وكان أنزلها أول ما قدم بها فى بيت (لحارثة بن النعمان) فكانت جارتنا.. فكان عامة النهار عندها، فجزعت فحولها إلى العالية بأقصى المدينة، وكان يذهب إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا».

وعندما أنجبت إبراهيم، زاد ذلك من غيرة عائشة.. وحمل النبى ﷺ إبراهيم إلى عائشة لترى إلى أى مدى كان شبيهًا برسول الله ﷺ.. ولكن عائشة وقد أخذتها الغيرة، أخذها الغضب وقالت للرسول ﷺ:

ما آراه يشبهك فى شىء!!

وأخذ أعظم رسل السماء ولده متجهًا به إلى أمه، وهو يقول لعائشة: إنكن صواحب يوسف.

وعندما بلغ إبراهيم ستة عشر شهرًا، مرض، وأشفق عليه رسول الله، فهو ابنه الذى أحبه من كل قلبه، بعد أن فقد أولاده، ولم يبق منهم إلا فاطمة، ولكن أراد الله أن يموت إبراهيم، ويبكيه الوالد العظيم.. ويقول:

- إنا يا إبراهيم لا نغنى عنك من الله شيئًا.

وعندما بكت أمه بصوت عال فنهاها الرسول على رفع صوتها بالعويل، وغالب دمعه وهو يقول:

يا إبراهيم، لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك بأشد من هذا..

ورآه الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف حزينًا، فحزن لحزن الرسول، وقال له ﷺ..

« ما عن الحزن نهيت، وإنما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء، وإن ما ترون بى أثر ما فى القلب من محبة ورحمة، ومن لم يُبدِ الرحمة، لم يُبدِ غيره عليه الرحمة ».

ودُفن إبراهيم بعد أن صلى عليه النبى ﷺ ثم هال

عليه التراب.

وحدث فى هذا اليوم أن حدث كسوف للشمس، وردد البعض أن الشمس حدث لها هذا الكسوف حزنًا على إبراهيم، فقال الرسول الكريم:

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد أو لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة ».

* * *

وتمضى الأيام والرسول ﷺ هو قدوة المؤمنين عبادة وسلوكًا وجهادًا، وبعد حجة الوداع بإحدى وثمانين يومًا.. يشعر الرسول ﷺ، وقد أدى الرسالة، أن أيامه على الدنيا معدودة، وأنه سوف يغادر الحياة إلى رحاب الله.. فهو قد حج بالناس حجة الوداع، وعلمهم مناسك الحج، وخطب فيهم خطبة الوداع الخالدة، التى علَّم بها الناس ما ينبغى أن يعرفوه من أمور دينهم، ونهى فيها عن الربا، وأوصى بالنساء خيرًا.

وحدث أن أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن - قبل حجة الوداع - وخرج معه يودعه ويوصيه وهو يحس بدنو الأجل

وقال له:

– «**يا معاذ إنك عسى ألا تلقانى بعد عامى هذا.. ولعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى**».

وبكى معاذ، والتفت الرسول إلى المدينة وقال:

« **إن أولى الناس بى المتقون ، من كانوا وحيث كانوا** ».

وبعد حجة الوداع.. وبعد مرور إحدى وثمانين يومًا كما يقول الرواة.. أخذ النبى خادمه (أبو مويهبة) ليزور أهل البقيع ليستغفر لهم.. وقال:

« **السلام عليكم يا أهل المقابر.. ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه. أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى** ».

ثم أخذ يستغفر لأهل البقيع.

وعاد الرسول إلى بيته يشكو الصداع.

قالت عائشة رضى الله عنها:

– لما رجع رسول الله ﷺ من البقيع، وجدنى وأنا أجد صداعًا فى رأسى وأقول وارأساه.

فقال رسول الله ﷺ:

- **بل رأسى أنا والله يا عائشة. وارأساه.** ثم قال لى:

- **مـا ضـرك لـو مِتِّ قبلى، فغسلتك، وكفنتك وصليت عليك ودفنتك.**

وردت عائشة على مزاح الرسول ﷺ: واللـه لكأنى بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتى فأعرست ببعض نسائك.

وابتسم رسول الله.

وبدأ مرض رسول الله

واشتد عليه المرض، فأناب أبا بكر للصلاة بالناس.. وأمر أسامة بن زيد أن يقود جيشًا لمجابهة الروم.. وكان أسامة ما زال فى الثامنة عشرة من عمره.

واشتـد به المرض.. وكـان يخـرج إلى المسـجد يخـطب الناس، ويعظهم رغم اشتـداد المرض عليه. وأمر أن يوزع المال اليسير عنده على الفقراء.

وعندما اشتـد عليه المرض، أسند رأسه إلى صـدر عائشة رضى الله عنها، وكأنه يجيب على سؤال من الغيب وقال:

«**بل الرفيق الأعلى والجنة**».

وقالت عائشة: خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق.

وكان أعظم رسل السماء أثناء مرضه وبجانبه ابنته فاطمة . . وقد أسر إليها النبى بكلمات، فضحكت بعد أن كانت تبكى.

أما سر هذا البكاء والضحك، فقد قالت السيدة عائشة أنها سألت فاطمة عن ذلك وكان جوابها:

أسرَّ إلىَّ، فأخبرنى أنه ميت فبكيت، ثم أسرَّ إلىَّ أننى أول أهل بيته لحاقًا به فضحكت.

* * *

وعندما انتقل الرسول إلى جوار ربه حزن الناس حزنًا شديدًا لفراق أعظم من عرفته الحياة . . فكيف يمكنهم أن يعيشوا فى المدينة التى كان ﷺ يضيئها بالوحى والقرآن وقيمه وسلوكياته الرفيعة.

وكيف يمكن أن يمضى الناس إلى أعمالهم، وقد غربت شمس حياة من كان يضىء لهم الحياة؟

كانوا يرون فيه الزهد والتقوى والعفاف، والتواضع، والعلم، والوفاء، والأخلاقيات الرفيعة العالية . . فكيف يمشون فى مسالك المدينة وضروبها دون أن يروا هذا النور الذى يمشى على الأرض؟

ولكنها سنة الله

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١].

حتى إن عمر بن الخطاب بكل ما أوتى من عقل وشجاعة قلب، لم يصدق أن الرسول رحل إلى أكرم جوار فقال:

«إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفى، وإن رسول الله والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين يومًا، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات!!».

وسمع أبو بكر الصديق بالخبر، ودخل إلى رسول الله وقبَّله فى جبينه، ووضع الغطاء على رأسه، وقال وهو يبكى:

"بأبى أنت وأمى يا رسول الله طبت حيًا وطبت ميتًا".

ثم خرج إلى الناس وخطب فيهم، فقال بعد أن حمد الله وصلى على نبيه:

من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. ثم قرأ قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأفاق الناس على الحقيقة، وأفاق عمر من الصدمة التى أذهلته وقال:

فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها حتى ذهلت، ووقعت على الأرض ما تحملنى قدماى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات حقًا.

* * *

ودفن رسول الله فى حجرة عائشة رضى الله عنها.

ولا شك أن عائشة حزنت حزنًا شديدًا على فراق رسول الله ﷺ، فقد كانت هى الأثيرة عنده والقريبة إلى نفسه، وقد كانت تعتز بهذه الفترة التى عاشتها فى كنف خاتم النبيين ﷺ وحبها له، وهى التى قالت بعد أن رحل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى:

"فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر:

لم ينكح بكرًا قط غيرى.. ولا امرأة أبواها مهاجران غيرى.. وأنزل الله براءتى من السماء.. وجاء جبريل

بصورتى من السماء فى حريرة . . وكنت أغتسل أنا وهو فى إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيرى .

وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه دون غيرى .

وكان ينزل عليه الوحى وهو معى ولم ينزل وهو مع غيرى .

وقبض وهو بين سحرى ونحرى، وفى الليلة التى كان يدور علىَّ فيها . . ودفن فى بيتى» .

لقد كانت السيدة عائشة على حد تعبير الأستاذ العقاد :

لقد كانت تحبه حب المسلمة لنبيها، وكانت تحبه حب الزوجة لزوجها والمرأة لرجلها، وكانت تعجب بجماله كما تعجب بأدبه وعظمة قدره .

وكان يسرها أن تستمع إلى صوته وتصغى إلى ترتيل حديثه، كما يسرها أن تستوضح معناه لأنه - كما كانت تقول لسائليها - لا يسرد كسردكم هذا ولكنه «يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه» .

وكانت تغار عليه أشد غيرة عرفتها امرأة على زوجها .

وربما خرج من عندها فى ليلتها فإذا هى تتبعه إلى حيث ذهب مخافة أن يلم ببيت زميلة من زميلاتها .

ووجدتـه فى ليلة من هـذه الليالـى قد ذهب إلى المقـابر يصلى للشهداء ويستغفر لهم فعادت إلى بيتها تقول لنفسها:

بأبى أنـــت وأمـى. أنــت فى حـاجـة ربـك وأنـــا فى حاجة الدنيا!

ولكنها لبثت مكروبة الصدر مما خامرها من خاطرها الأول ومن خطأ ظنها فلما قفل ﷺ إليها لحظ ما بها فسألها:

ما هذا النفس يا عائشة؟!

فقالت:

بأبى أنت وأمى. أتيتنى فوضـعت ثوبيك ثم لم تستنم أن قمت فلبستهما، فأخـذتنى غيرة شديدة ظننت أنك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبـقيع تصنع ما تصنع.. وخرج مرة أخرى وعاد إليها فإذا هى فى مثل تلك الحالة.

فقال: أغرت؟

قالت: وهل مثلى لا يغار على مثلك؟

ولم تنـس قط أن تتحـلى بما يروقـه من مرآها. فـكانت تلبس المعصفر والمضرج وتتحرى ما يعجبه من الطيب والحلية.

ودخلـت عـليـها امــرأة وهى معصفـــرة فسألتـها عن الحناء فقالت:

شجرة طيبة وماء طهور.

وسألتها عن الحفاف فقالت لها:

إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعى مقلتيك فتصنعيهما أحسن مما هما فافعلى.

* * *

و.. ظلت السيدة عائشة على مقربة من البقعة التى دفن فيها خاتم النبيين.. فقد عاشت فى الحجرة المجاورة لقبر الرسول.. وظلت طوال حياتها التى اقتربت من السبعين، تروى ما حفظته من أحاديث الرسول، وتدل من يسأل عن أمر من أمور الدين كما عرفته من سيد المرسلين.

* * *

- ٥ -

عائشة في عصر الخلفاء الراشدين

لم يكن للسيدة عائشة أى دور سياسى فى خلافة والدها أبى بكر الصديق، أو خلافة الفاروق عمر بن الخطاب. فقد تولى أبو بكر الخلافة عقب وفاة الرسول ﷺ، وسط ظروف صعبة، حيث اجتمع الأنصار يريدون مبايعة سعد بن عبادة بالخلافة..

وذهب الصديق ومعه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة ابن الجراح.. لحسم هذا الأمر، ودارت مناقشات طويلة، انتهت بمبايعة الصديق.

قالت عائشة رضى الله عنها:

لما توفى رسول الله ﷺ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير،

وذهب أبو بكر، وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول:

ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلامًا أعجبنى خشيت ألا يبلغه أبو بكر.

ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الكلام، فقال فى كلامه:

نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل.. منا أمير ومنكم أمير.

فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء. فبايعوا عمر أو أبا عبيدة.

فقال عمر: بل نبايعك.. أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايع الناس.

وبعد ذلك بويع الصديق بيعة عامة فى مسجد الرسول ﷺ. وعندما تولى الخلافة كان أول خطاب له بعد أن حمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما بعد أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أخطأت فقومونى. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوى عندى حتى آخذ الحق

له إن شاء الله، والقـوى فيكم ضعيف عنـدى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قومٌ الجهـاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسولـه، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم».

وشعر النـاس بالارتياح لخليفتـهم الجديد. فخطبتـه تتسم بالتواضع، والحـرص على أن تكون أيامه امـتدادًا لأيام رسول الله. . حـتى إن أحـدهم قال له بـعد هذه الخـطبة المـوجزة، والرائعة فى مضمونها:

- أصبت يا خليفة الله.

وقال له الصديق:

- يا أخى، لست خليفة الله؛ أنا خليفة رسول الله.

وأخذت الحياة تسير سيرتها. .

ثم بدأت الفتن. .

هناك من ارتد عن الإسلام.

وهناك من منع الزكاة.

وهناك من ادعى النبوة.

ووسط هذا الجو الملبد بغيوم الفتن والقلق، ظهر معدن الصديق.. لقد أصر أن يذهب جيش أسامة بن زيد الذى أعده الرسول لمحاربة الروم إلى الوجهة التى أرادها الرسول وأن يجابه بهذا الجيش الذى على رأسه أسامة بن زيد أقوى امبراطورية عرفها التاريخ.

وكان من بين جنود هذا الجيش عمر بن الخطاب، فطلب منه الصديق أن يظل معه حتى يكون وزيرًا له.

ثم خطب الصديق فى هذا الجيش وأوصاهم بهذه الوصايا الخالدة:

«لا تخونوا ولا تغلوا - أى لا تأخذوا شيئًا من الغنائم قبل القسمة - ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكل.. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم بالصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له..».

وبدأ الصديق الخلافة

تولى عمر أمر القضاء.

وتولى أبو عبيدة بيت المال.

وتولى عثمـان بن عفان أمر الكتابة، وكان خـاتمه مكتوبًا عليه فنعم القادر الله.

وعقـد الصديـق أحد عشـر لواء.. للقـضاء علـى الفتن ومدعى النبوة.. فخالد بن الوليد ينطلق نحو طلحة بن خويلد وبعد أن يقضى عليه يذهب للقضاء على مالك بن نويرة.

كمـا عقد لعكـرمة بن أبى جهـل للقضـاء على مسيلمة الكذاب فى اليـمامة، وأمده بمدد علـى رأسه شرحبيـل، كما كلف عمـرو بن العاص ليـتجه نحو قـضاعة.. وغيـرهم فى مخـتلف أنحـاء شبه الجـزيرة.. واستـطاع الصديق أن يـهزم المرتدين مانعى الزكاة وأن يعيد للمسلمين وحدتهم.. ثم يبـدأ الفـتوحـات الإسلاميـة الكبـرى بمواجهـة الروم فى الـشام، ومجابهة الفرس فى العراق..

وأخذت الحياة تسير فى طريقها..

الإسلام ينتشر فى بقاع الدنيا..

والهزائم تلحق بالروم والفرس..

وبشائر النصر تصل إلى الصديـق فى المدينة فيحمد الله، ثم يشـرح الله صدره بجمع القـرآن الكريم، بعـد أن استشهد الكثيرون من الذين يحفظون كـتاب الله، وخشية الصديق من

ضياع القرآن باستشهاد من يحفظونه، فقد شرح الله صدره لجمع القرآن الكريم.

ويمرض الصديق

ويعهد بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب؛ حتى يواصل ما بدأه من الفتوحات، وحتى يحقق العدل، وينشر لواء الشورى بين المسلمين، وقال لعثمان بن عفان أن يكتب:

«اكتب باسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر ابن أبى قحافة خليفة رسول الله ﷺ، فى آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر، ويتقى فيها الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، فإن بر وعدل، فذلك علمى به، ورأيى فيه، وإن جار وبدَّل، فلا علم لى بالغيب، وإنى لم آل الله ورسوله ونفسى وإياكم خيرًا، فالخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وخرج ليخطب الناس ليبايعوا عمر.. فبايعوه. وعندما استراح الصديق بأنه لم يترك المسلمين بغير خليفة، أخذ ينصح عمر بما يجب أن يكون عليه فى حكمه.

ودعا الصديق ابنته عائشة وقال لها:

«أما بعد يا بنيتى، فإن أحب الناس إلىَّ غنى أنت، وإن أعز الناس علىَّ فقرًا أنت. وإنى كنت نحلتك حائطًا - بستانًا - وإنى أحب أن ترديه علىَّ، فيكون ذلك قسمة بين الورثة فألقى ربى حين ألقاه، ولم أفضل بعض ولدى على بعض».

ووافقت عائشة، وقال لها والدها العظيم:

«إننا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا. ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، فانظروا ما زاد فى مالى منذ دخلت الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى».

وكانت آخر وصايا الصديق لخليفته عمر أن يمد جيش المثنى بن حارثة بالمدد الذى يساعده على الهجوم على الفرس.

واشتد المرض بالصديق، وكانت تمرضه زوجته أسماء بنت عميس، وعائشة.. وأخذت عائشة تقول:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فقال لها الصديق:

- ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

[ق: ١٩]

وكانت آخر كلمات الصديق:

«رب أمتنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين».

لقد مات بعد غروب شمس يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة للهجرة.

ودفن إلى جوار رسول الله.. رأسه عند كتف النبى ﷺ.

ووقفت أم المؤمنين عائشة على قبره باكية وقالت:

«نضَّر الله يا أبت وجهك.. وشكر لك صالح سعيك. فقد كنت مُذلاً للدنيا بإعراضك عنها، وللآخرة بإقبالك عليها، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رُزْءُك، وأعظم المصائب بعده فقدك، إن كتاب الله ليعدنا بالعزاء عنك حسن العوض منك، فأنا أنتجز من الله موعوده فيك بالصبر عليك، وأستعيضه منك بالدعاء لك، فإنا لله وإنا إليه

راجعون، وعليك السلام ورحمة الله، توديع غير قالية لك، ولا زارية على الحياة منك».

* * *

وفى عهد الفاروق عمر بن الخطاب.. انشغل الناس بالجهاد فى سبيل الله. فالفتوحات الإسلامية فى أوج انتصاراتها.

فقد وقعت فارس بكاملها تحت الحكم الإسلامى، بعد أن سقطت المدائن عاصمتها فى أيدى المسلمين.. وأصبحت الامبراطورية الفارسية التى كانت من أقوى قوى العالم فى هذا العصر تحت السيطرة الإسلامية.. بعد سلسلة من المعارك الدامية بينهم وبين المسلمين.. وأهمها معركة القادسية بقيادة سعد بن أبى وقاص.. الذى استطاع أن يدخل المدائن العاصمة، وعندما دخل قصر كسرى صلى صلاة الشكر لله وقال:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[الدخان ٢٥-٢٩]

كما هزمهم المسلمون أيضًا عندما حاول الفرس استعادة ملكهم، فأرسل لهم الفاروق جيشًا قوامه أربعون ألف مسلم تحت قيادة النعمان بن مقرن الذى هزمهم فى معركة «نهاوند». وبهذه المعركة لم تقم للفرس قائمة.

وعلى جبهة الشام تم الانتصار الساحق على الروم فى «اليرموك» وغيرها من المعارك.. وتسلم عمر بن الخطاب بنفسه مفاتيح بيت المقدس فى فلسطين فى سنة ١٥هـ من البطريرك (صفرونيوس).. ورفض الصلاة فى مسجد القيامة حتى لا يتحجج من يأتى من بعده من المسلمين فيحول هذه الكنيسة إلى مسجد بحجة أن عمر بن الخطاب صلى بها!

وتم فتح مصر على يد عمرو بن العاص. ووسط هذه الفتوحات التى انشغل الناس بها، وأظلهم عدل عمر، وسماحة الإسلام، وعظمة مبادئه.. تعرض الفاروق عمر بن الخطاب لمؤامرة لاغتياله من قبل المجوس، ونجحت هذه المؤامرة التى كان وراءها (الهرمزان).. الذى هزم فى أحد المعارك، وجاء إلى المدينة وأعلن الإسلام، كما اشترك فى هذه المؤامرة أيضًا (كعب الأحبار) وهو يهودى ادعى هو الآخر الإسلام، ونفذ المؤامرة الدنيئة (أبو لؤلؤة المجوسى).. فطعن

الفاروق أثناء صلاة الفجر، بخنجر مسموم، وطعن نفسه بالخنجر ومات على الفور.

وذهبوا بأمير المؤمنين إلى بيته، وعندما أفاق حمد الله أن الذى قتله لم يسجد لله سجدة واحدة يحاجه به عند الله يوم القيامة.

ورشح ستة على أن يختاروا واحدًا منهم: وهم على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبد الله.

وتوفى الخليفة فى اليوم الثانى لطعنه.. يوم الخميس الموافق ٢٧ من ذى الحجة سنة ٢٣هـ. وكانت فترة خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وبضعة أيام.

وقبل وفاته أرسل ابنه عبد الله إلى أم المؤمنين عائشة يستأذنها أن يدفن مع صاحبيه الرسول ﷺ والصديق.

وذهب عبد الله، ووجد عائشة تبكى..

قال لها: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

قالت عائشة: قد والله كنت أريده لنفسى ولأؤثرنه به اليوم على نفسى.

ودفن عمر بجانب صاحبيه.

* * *

وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان..

وشعر الناس فى السنوات الأولى من حكمه بالأمن والأمان والمستقبل.. فالفتوحات الإسلامية تواصل زحفها فيما وراء بلاد الفرس، والشمال الإفريقى.. والأموال تتدفق على بيت المال.. وعثمان نفسه ليست فيه شدة عمر وحزمه.. وتم فتح جزيرة قبرص سنة (٢٨هـ).. كما انتصر المسلمون فى معركة "ذات الصوارى" على الأسطول البيزنطى، كما جمع المصحف الشريف، إلى أن ظهرت بعض الروافد التى تجمعت فى النهاية لتحدث الفتنة الكبرى التى أجج أوارها "عبد الله ابن سبأ" وكان يهوديًا وادعى الإسلام.. وقد ساعد على ذلك تولى أقارب عثمان أمور الحكم، وزيادة الثروات فى أيدى البعض كما كان الخليفة نفسه متسامحًا مما أغرى أصحاب الفتنة فى التمادى بها.. وقد انتهت هذه الفتنة باغتيال عثمان، وهو يقرأ القرآن الكريم بعد حصار بيته ومنع الماء عنه.. لقد قتل مظلومًا.. لم يراع قتلته منزلته من الرسول ﷺ وزواجه من ابنتيه.. رقية. وأم كلثوم، وتأثيره فى الإسلام.

* * *

وكانت السيدة عائشة طوال حياة والدها، ومن بعده الفاروق عمر، المرجع فى أمور الدين، بما حفظته من

القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وعلى حد تعبير الأستاذ العقاد:

«ومن أهم الأشياء التى ينبغى أن تلاحظ فى حياة السيدة عائشة بعد النبى ﷺ أنها قضت خلافة أبى بكر وعمر وهى لا تشعر بأن مكانها فى عهد النبى قد تغير، أو بأن أمرًا من أمور السياسة العامة يدعوها إلى التعرض له راضية أو ساخطة. حتى كانت خلافة عثمان فتغيرت هذه الحال، وكان لتغييرها دلالة كبيرة وأثر كبير.

فى عهد أبى بكر كانت أمور السياسة العامة تجرى على أحكام الدين، وتركن منه ومن أصحابه إلى سند ركين، وكان الخليفة أبوها هو أول من يدعوها بأم المؤمنين، وفى عهد عمر كانت أمور السياسة تضطرب أو تسكن ولكنها فى كلتا الحالتين لا تنشعب ولا تؤذن بانصداع، وكان عمر أهيب خليفة عرفه الإسلام، وأحب خليفة إلى عائشة رضى الله عنها. سرت صداقة الأبوين أبى بكر، وعمر إلى بنيهما فكانت عائشة وحفصة أصدق صديقتين تتفقان وتتكاشفان كلما وقع الخصام فى بيت النبى ﷺ، وحفظت لعمر أجمل الشكر لموقفه من حديث الإفك حين شاوره النبى فقال له:

- إن الله هــو الذى زوجكمــا وإنه سبحــانه وتعــالى لم يدلس بها عليك.

وتم هذا الشكر حين ولى الخلافة فرعى لها المكانة الأولى بـــين المسلمـين، وخـــص بيـت النـبى بالحصـــة العليـا مـن الحفاوة والعطاء.

فمضى العهدان - عهد أبى بكر وعمر - وليس فى الحياة الخاصة ولا فى الحـياة العامة ما يشـعرها بتغير أو ينـــزع بهـــا إلى نـوازع السـياســــة، ومـا تعـــارض منهـا أو جنـح إلى التخريب والتأليب.

ثـم تغيـرت الأمـور فى عهـد عـثمان، ولولا هـذا التغير لما عـرف للـسيـدة عائشـــة نصيب من الســياسـة العامـــة بعد موت النـبى، وهو الموقف الذى تحـولت به الأحوال إليـه بعد اجتناب السياسة العامة قرابة عشرين سنة، على غير سابقة فى سيرتها الأولى».

* * *

لقد دفعت الأمور فى عهد عثمان السيدة عائشة أن تدخل ميدان السياسة..

وكان أول شىء دفـعها إلى ذلك أن العطاء الـذى كان قد فرضـــه عمر بن الخطـاب.. وهو من هو عمـر.. عدلا، أن

نقص هذا العطاء، فى الوقت التى زادت فيه ثروات بيت المال لتدفق الأموال على أثر الانتصارات والفتوحات الإسلامية، . . وكان عثمان قد أغدق على مروان بن الحكم من هذه الأموال مما أثار التساؤل فى ذهن أم المؤمنين عائشة عما دفعه إلى إنقاص ما يخصها من عطاء، بالرغم أنها غير حريصة على المال أو الثراء، ولكنها كانت تعطى المحتاجين.

كما أثارها أن بعض الوفود التى كانت تنكر على حكامها سوء السلوك كانوا يلجأون إليها، ويشكون لها أحوال الناس وما أصابهم من بعض هؤلاء الولاة. . الذين اتهم بعضهم بشرب الخمر، واتهم البعض الآخر بالقتل. . فقد اتهم عبد الله بن أبى السرح بقتل أحد الرعية. . حتى إنها أرسلت إلى عثمان تقول له:

«تقدم إليك أصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل - عبد الله بن أبى السرح - فأبيت، فهذا قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك».

وقد ضاقت السيدة عائشة بسياسة عثمان، حتى إن بعض الرواة يقول إنها أظهرت قميص النبى، وقالت للناس:

«يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبلَ وقد أبلى عثمان سنته».

* * *

وقررت السيـدة عائشة أن تخرج مـن المدينة، وقررت أن تذهب إلى مكة رغبة فى الحج. . ابتعادًا عن الفتنة.

وفى مـكة علمـت بمقتـل عثـمان وتـولى على بـن أبى طالب. . وهنا يقول الرواة إنها لم تكـن محبذة أن يتولى على ابن أبى طالب الخـلافة، فهى لم تـنس له أبدًا، عندما انـتشر حديث الإفك، قـوله للرسول ﷺ: "تزوج يـا رسول الله. . فالنساء كثير" و. . كان هذا هـو سر صراعها مع رابع الخلفاء الراشدين الإمام على كرم الله وجهه.

* * *

- ٦ -

موقعة الجمل

كانت عائشة رضى الله عنها فى مكة لأداء الحج، وعندما أدت مناسك الحج، جاءتها الأنباء، بمقتل عثمان، ثم جاءت إشاعات بأن طلحة قد تولى الخلافة، وخرجت نحو المدينة، إلا ان الأنباء قد جاءتها لتؤكد مقتل عثمان وتولى على، فرجعت إلى مكة، وفى الحجر أمام الكعبة اجتمع الناس، فقالت عائشة:

«إن الغوغاء من أهل الأنصار وأهل المياه البدو، أو الأعراب وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلمًا بالأمس، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض

أمثالهم. والله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنبًا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، والثوب من درنه».

وأصبحت أم المؤمنين عائشة تطالب مع بنى أمية الذين هربوا من المدينة إلى مكة بدم عثمان، كذلك ذهب إلى مكة طلحة والزبير بحجة العمرة. حيث طلبا من عائشة أن تذهب معهما إلى البصرة لتحريض الناس على الطلب بدم عثمان.

وحاولت أن تخرج معهما إلى البصرة أم المؤمنين حفصة، ولكن عبد الله بن عمر أقنعها ألا تدخل فى هذا الأمر وعرضت عائشة على أم سلمة أن تذهب معهم فقالت أم سلمة:

- يا عائشة إنك تعرفين منزلة على عند رسول الله ﷺ، فأى خروج تخرجين بعد هذا؟

فقالت عائشة:

- إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله.

قالت أم سلمة: أى أجر يا عائشة؟ قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢].. عودى فقرى فى بيتك.

وأرسلت أم سلمة ابنها عمر إلى الإمام ليقف إلى جواره.

وحاول البعض إغراء عبد الله بن عمر للذهاب معهم إلى البصرة فرفض ابن عمر، وعلق على ذهاب أم المؤمنين عائشة إلى البصرة ومن معها بقوله:

- "إن بيت عائشة خير لها من هودجها، وإن المدينة خير لكم من البصرة، والذل خير لكم من السيف، ولن يقاتل عليا إلا من كان خيرا منه، وإن الشورى والله قد كانت".

وعندما علم الإمام بخروج أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير من مكة متجهين إلى البصرة، حزن حزنًا شديدًا، فهو يريد توحيد الصف.. ويريد أن يكون المسلمون بعيدين عن الصراع..

إنه حزن لخروج أم المؤمنين وطلحة والزبير عن سلطته، وحزن أيضًا لأن معاوية رفض قرار العزل، ويريد أن يتوجه بجيش الشام إلى المدينة لمحاربته.. وكان على الإمام أن يجابه الخارجين عليه.

وبينما كان يتوجه الجيش الذى يقوده طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، سمعت عند أحد الآبار نباح كلاب.

تساءلت أم المؤمنين:

أى ماء هذا؟

قالوا لها: ماء الحوأب.

قالت في رعب: ما أراني إلا راجعة!

قالوا لها: لم؟

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه:

«**كأني بإحداكن تنبحها كلاب الحوأب، ثم اتجه إلىَّ** وقال: **إياك أن تكوني أنت يا حميراء**».

ولكن ابن اختها عبد الله بن الزبير أقنعها أنها تركت ماء الحوأب أول الليل. !

واتجه الركب نحو البصرة التي كانت قد بايعت الإمام وحاول الإمام على أن يقنع عائشة وطلحة والزبير بعدم القتال، وأنه ليس له يد في قتل عثمان. . ولكن بلا جدوى، حتى إنه في أحد المرات التي حاول فيها أن يبعد أم المؤمنين وطلحة والزبير عن القتال قال للزبير:

- أتذكر يا ابن العمة يوم مررت مع رسول الله ﷺ فضحك وضحكت فقلت أنت:

- لا يدع ابن أبي طالب غروره.

فقال رسول الله ﷺ:

- **إنك لتقاتله وأنت له ظالم.. فعلام تقاتلني؟**

فقال الزبير: اللهم نعم.. ولو ذكرتها ما خرجت إليك.

وقال الزبير لعائشة، بعد أن أيقن أنه على باطل، وأنه خرج لقتال الإمام ظلمًا، عندما ذكره بحديث رسول الله بأنه سيقاتل عليا وهو له ظالم.. قال لعائشة:

- يا أماه ما شهدت موطنًا فى جاهلية ولا إسلام إلا ولى فيه رأى وبصيرة إلا موطنى هذا.. إنا يا أم المؤمنين لَعَلَى باطل.

قالت عائشة:

- يا أبا عبد الله خفت سيوف بنى هاشم!

وانصرف الزبير يريد العودة إلى المدينة، وأمرت عائشة أن يكون بدلا منه ابن اختها عبد الله بن الزبير وفى الطريق قتل الزبير بيد رجل اسمه ابن جرموز، ولم يستطع الإمام إقناع عائشة وطلحة بالسلام.. وبدأ القتال..

لم يبدأه الإمام.. إنه كان يتذكر أيام طلحة وكيف زاد عن الإسلام ونبى الإسلام.. ويخاف على أم المؤمنين عائشة.

واندلع القتال.. عنيفًا.. وسقط طلحة فى المعركة وأمر الإمام بأن يعقر أصحابه الجمل الذى يحمل عائشة.

وانهزم جيش عائشة، وانفض من حولها المقاتلون،

وأرسل الإمام إليهـا أخوها محمد بن أبى بكر، حـتى يطمئن عليها وضرب الهودج بيده.

قالت عائشة: من أنت؟

قال: أقـرب الناس مـنك قرابـة، وأبغضـهم إليـك، أنا محـمد أخوك. وسألـها إن كان قد أصـابها شيء، فقـد أمره الإمام على بذلك.

قالت: ما أصابنى إلا سهم لم يضرنى.

فقال لـها: أما سمـعت الرسول يقول: عـلى مع الحق، والحق مع على ثم خرجت تقاتلينه.

قالت: فليغفر الله لى.

وجاء الإمام وقال لها:

– يا أم المؤمنين.. أرسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمرك بأن تقرى فى بيتك – والله ما أنصفك الذين أخرجوك، إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك.

ثم قال لها: كيف أنت الآن يا أم المؤمنين؟

قالت: بخير.

قال: يغفر الله لك.

قالت: ولك.

وأمر الإمام أن تعود أم المؤمنين إلى المدينة، وعندما كانت تتعثر فى الجثث تبكى، حتى إنها ندمت وقالت:

- ليت أمى لم تلدنى.

وقالت: ليت كـان لى من رسول الله بنون عـشرة كلهم ثكلتهم ولم يكن يوم الجمل.

إنـه النـدم

وعادت إلى المدينة بصـحبة أخيها محـمد بن أبى بكر.. ولم تنس قط هذا اليوم العصـيب.. يوم الجمل.. وما حدث فيه من سفك الدماء.. وكلما تذكرت هذا اليوم بكت.

والأستـاذ العقاد وهو يـتحدث فى كتـابه (الصديقـة بنت الصديق) عن الدوافع التى دفعت السـيدة عائشة للوقوف هذا الموقف من الإمـام، أنها لم تنس مـوقفه من حـديث الإفك. فهو يرى أن عليًا أخطأه التوفيق فى نصيحته. وعائشة أخطأها التوفيق فى مكـافحته مـن أجـل هـذه النصـيحـة، وإن كانت لا تلام على أنها كانت تتمنى الخلافة لسواه ويقول أيضًا:

ولكننا إذا ذكـرنا هذا كان علينـا أن نذكر معه أن الـسيدة عائشة ندمت على موقفهـا من يوم الجمل أشد ندامة، فكانت تقول بقية حياتها: ليتنى مت قبل يوم الجمل.

وقالت مرة:

- ليت كان لى من رسول الله ﷺ بنون عشرة وثكلتهم ولم يكن يوم الجمل.

وكانت كلما خاض الناس فى حديث ذلك اليوم تبكى حتى تبل خمارها.

وعلينا أن نذكر أنها صانت خصومتها عن كل كلمة نابية فى حق على رضي الله عنه، فلم تتهمه بدم عثمان، ولم تتجاوز بالتهمة بعض من بايعوه. وقالت عنه غير مرة إنه الصوام القوام وأنه أحب الناس إلى رسول الله.

وعلينا أن نذكر أن المغريات بالاندفاع فى هذه الغاشية كثيرة:

حدة فى الطبع، ومفاجأة تبتدر الحدة، وبيئة مطبقة العداء لعلى، وسعى حثيث من أقرب الناس إليها وأقربهم إلى إقناعها.

وأنها مع هذا أقدمت على مورد مبهم لا يتضح الشر فيه، وترددت هناك بين إقدام وإحجام، واعتقدت أن الأمر لا يفضى إلى قتال. وأصغت إلى دعوة الإصلاح ودعت إليها.

وهو حادث لا بد له من عبرة وإن عبرته لأحق عِبر التاريخ الإسلامى بالتسجيل.

* * *

مهما يكن من شىء..

فقد مات الرسول ﷺ وهو عنها راض، ودفن فى حجرتها.

وروى عنه ﷺ أنه قال:

«كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على الناس كفضل الثريد على سائر الطعام».

و.. توفيت رضى الله عنها سنة ست وخمسين للهجرة ودفنت فى البقيع.

رضى الله عنها وأرضاها.

* * *

-٧-

وتبقى كلمة

من خلال الحديث عن السيدة عائشة رضى الله عنها.. عرفنا أنها كان لها دور بارز فى توعية المرأة بأمور دينها بما عرفته من سنة رسول الله ﷺ.. فقد كانت تعرف القراءة والكتابة بجانب ذكائها، وبجانب قربها النفسى من الرسول ﷺ..

فقد كان الرسول الكريم يعرف طبائع النساء جيدًا، وهو القائل عن غيرة السيدة عائشة:

« ويحها لو استطاعت ما فعلت ».

كانت رغم صغر سنها فى غاية الذكاء، تدرك تمامًا ما يجب أن تقوم به من دور فى حياة الرسول.

وإذا كان بعض المستشرقين تحدث عن الفارق بينها وبين الرسول فى السن، فإن بعض الدارسين للسيرة النبوية يرى أن عمرها عندما دخل بها الرسول لم يكن التاسعة كما أشيع، ولكنها كانت فى السادسة عشر، من ذلك، فمولاى محمد على يقول فى كتابه (محمد رسول الله) وهو يتحدث عن زواج الرسول من عائشة يقول:

"كان لفقد خديجة وقع أليم فى نفس النبى فحزن عليها حزنًا عميقًا فلما رأت إحدى المؤمنات ذلك أشارت عليه أن يتزوج من عائشة ابنة صديقه أبى بكر، وفاتحت أبا بكر فى ذلك، وكان لعائشة مواهب بارزة لمسها النبى كما لمسها أبوها، وكانت هذه المواهب كفيلة بأن تجعلها سيدة المستقبل، الجديرة أن تكون زوجة الهادى الأعظم الذى سيكون له أبلغ الأثر فى هداية البشر.

وكان فى طريق إتمام هذا الزواج عقبتان:

أولاهما أن عائشة كانت مخطوبة لجبير فما كان فى استطاعة أبيها أن يقبل تزويجها حتى يفصل فى أمر جبير، ولكن كان جبير نفسه يرغب فى فصم رباط الخطبة لأن الهوة التى كانت بين المسلمين والمشركين قد اتسعت.

وأما العقبة الثانية فهى عدم بلوغ عائشة السن التى تؤهلها للزواج، وقد أمكن تذليل هذه العقبة بتأجيل الدخول بها، وعلى هذا فإن حفل الزواج لم يكن فى الواقع سوى حفل خطبة، وكان ذلك فى التاسع من شوال فى السنة العاشرة من نزول الوحى وإنها لفرصة طيبة لدفع أكذوبة شاعت وراجت عن سن عائشة.

فمن المسلم به أنها لم تبلغ السن التى تؤهلها للزواج. وكذلك من الواضح أنها لم تكن فى سن السادسة كما زعموا فإنها كانت فى السن التى تجيز خطبتها فخطبها جبير، وعلى ذلك فإنها كانت على أبواب السن التى تؤهلها للزواج.

ومن الثابت أن فاطمة بنت النبى كانت تكبرها بخمس سنوات، ومن الثابت أيضًا أن فاطمة ولدت أيام إعادة بناء الكعبة أى قبل أن يرسل النبى بخمس سنوات، فتكون عائشة قد ولدت سنة نزول الوحى فكانت سنها لا تقل عن العاشرة عندما زوجت من النبى فى السنة العاشرة للرسالة، وأن شهادة عائشة نفسها لدليل على ذلك.

فقد قالت إنها كانت تلعب مع أترابها عند نزول سورة القمر وهى السورة الرابعة والخمسون، وإنها كانت تحفظ بعض آيات السورة.

وهذه السـورة لم تنزل إلا فى الـسنة الخامـسة للرسـالة، وعلى ذلك فما قيل أنها كانت تبلغ السادسة فى السنة العاشرة للرسالة عندما تزوجها النبى إن هذا إلا قول كاذب، وإلا كان مولدها يوم نزول سـورة القمر، وهو ما تنفيـه هى بقول إنها حفظت بعض آياتها عند نزولها.

ومن هذا كله يفهم أن سنها لم تكن أقل من عشرة أعوام بحال عندما خطبها النبى.

ولما كـانت المدة بـين الخطبـة والدخول بـها لا تقـل عن خـمس سنوات فـما دخـل النبى بـها إلا فـى السنة الـثانيـة للهجـرة، وعلى ذلك يكون سنها يوم بـنائه بها خمسـة عشر عامًا. . أما دعـوى أنها كانت فى السادسة عـند عقد الزواج، وأن النبى بنى بهـا وهى فى التاسعة فهى دعـوى خاطئة، لأن معنى هذا أن الفترة بين العقد والزواج كانت ثلاثة أعوام وهذا خطأ تاريخى لا شك فيه».

وقد أثار المستشرقون - وهـم يتحدثون عن الإسلام ونبى الإسلام - مسألـة تعدد الزوجات، وأخذوا فى الغـمز واللمز على أساس أن الرسول ﷺ كان يجرى وراء لذاته.

وهى مغالطـة منهم، ومحاولة لتشـويه صورة الإسلام. .

أو على حد تعبير الأستاذ العقاد فى كتابه (عبقرية محمد):

«... فهو أولا رجل يطلب ما يطلبه الرجل فى المرأة، ونحن قبل كل شىء لا نرى ضيرًا على الرجل العظيم أن يحب المرأة ويشعر بمتعتها، هذا سواء فى الفطرة لا عيب فيه، وهذه النفس السوية يمكننا أن نفهمها بجلاء حين نرى أن المرأة لم تشغله عما تشغل المرأةُ الرجلَ المفرط فى معرفة النساء من مهام الأمور والقيام بالأعباء الجسام.. فمهما قال هؤلاء فلن يستطيعوا أن ينكروا أن محمدًا قد حقق ما لم يحققه بشر قبله ولا بعده، ولم يشغله عن هذا شىء لا امرأة ولا غير امرأة.

فإن كانت عظمة الرجل قد أتاحت له أن يعطى الدعوة حقها، وأن يعطى المرأة حقها، فالعظمة رجحان وليست بنقص، وهذا الاستيفاء السليم كمال وليس بعيب، ومحمد الذى خيّر نساءه بين أن يرضين بحياة الكفاف أو يسرحن سراحًا جميلا ليس بالضرورة رجلا خاضعًا للذات حسه، فلو شاء لأغدق عليهن النعمة وأغرقهن فى الحرير والذهب وأطايب اللذات، وليس هذا فعل رجل يستسلم للذات حسه».

ويقول العقاد:

«قال لنا بعض المستشرقين: إن تسع زوجات لدليل على

فرط الميول الجنسية، قلنا: إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط، فلا ينبغى أن تصف محمداً بأنه مفرط الجنسية لأنه جمع بين تسع نساء، فالنبى ﷺ أمكنه أن يسوس تسع زوجات، ولم يؤثر عنهن خصام أو نزاع إلا مرات تعد على أصابع اليد، فمن أتيح له أن يجمع بين عدد من الزوجات فعليه أن يقتدى به فى معاملة زوجاته بالعدل ومعالجة الشئون المنزلية بالأناة وسعة الصدر، وعلى النساء أن يتخذن من زوجات النبى الكثيرات مثالا صالحا يحتذينه من العفة والزهد وتدبير المنزل.. والرضا بما قدر لهن من متاع فى هذه الحياة الدنيا، وبذلك تسعد الأسرة بتمامها. وتقوم بواجبها نحو الله ونحو المجتمع الإسلامى، ولو أن المسلمين وغيرهم تأملوا فى حياة النبى مع نسائه، واقتدوا فى معاملة الأزواج والأبناء والأقارب كما أمرهم الله، لعاشوا عيشة راضية مرضية».

* * *

لا شك أن الإسلام قد احترم المرأة، وقدَّر مشاعرها، وأعطاها من الحقوق ما لم تعطه لها أحدث القوانين الوضعية فى الغرب فى عصرنا الحديث.

ومقارنة بين ما كانت عليـه المرأة فى العصر الجاهلى، نجد فارقًا شـاسعًا، بين المرأة فى الجـاهلية حيث لا حـول لها ولا قوة، ولا تمـلك من أمر نـفسـها أو أموالـها شيـئًا، وبـين ما أصبحت عليه عندما جاء الإسلام بشريعته العظيمة، فأصبحت المرأة مخلوقًا لـه حقوقه، وعليه واجبـاته، ولا يتوارى المسلم خجلا عندما يبشر بفتـاة، بعكس ما كان فى العصر الجاهلى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾. [النحل: ٥٨ - ٥٩]

وكانوا فى الجـاهلية لا يجعلون لـلمرأة أو الصبى نصـيبًا فيما تركـه الأب، بحجـة أن الإرث للذين يقاتلـون، والمرأة لا تقاتل، والصبى لا يقاتل، وجاء الإسلام ليجعل لهما نصيبًا فى الميراث: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾. [النساء: ١١]

والشريعة الإسـلامية تجعل من رضا البنت شـرطًا لصحة العقد عليـها، ولا يستطيع أحد حتى والدها أن يـجبرها على زواج لا ترتضيه.

وكـانوا فى الجـاهليـة يرثـون النسـاء كـرهًا، وحـرم

الإسلام ذلك.

وفى العبـادات لا فرق بين الرجل والمرأة، فى الـواجبات والحقوق: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾. [النساء: ١٢٤]

كما أن الإسلام أتاح للمرأة التصرف فى مالها، ولها حق التعلـــم، وحـــق العمـــل، إذا كـــان هـذا العمـل يتـيح لها حياة كريمة.

ويورد لـنا محـمـد أحـمـد جاد المولـى أسبـاب تعـــدد زوجاتــه ﷺ، ويقول أن هناك أسبابًا عامة وأسبابًا خاصة.

الأسبــاب العامة أن النبــى ﷺ مرسل للرجال والـنساء. ومن الأحكام التى يبــلغها ما هو مشتــرك بين الرجل والمرأة، ومنها ما هو خــاص بأحدهما وكل يتطلب لتلقــينه عددًا ليس بالقليل، لتفرق المرسل إليهم وكثرتهم، ولقصر زمن الرسول، ووفرة الأحكام وإلا لم يحصل التـبليغ على الوجه الأتم على أن من أحكام النساء ما تستحى من الاستفهام عنه من الرجل، ويستحى الرجل من قوله للمرأة.

فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها، أن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت للنبى ﷺ:

- يا رسول الله كيف أغتسل من الحيض؟

قال: «خذى فرصة مُمَسَّكَةً (يعنى قطعة قطن) فتوضئى- ثلاثًا» أى قال ذلك ثلاثًا وهو فى كل ذلك يقول: **سبحان الله** عند إعادتها السؤال! ثم إن النبى استحيا، فأعرض بوجهه، فأخذتها عائشة فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبى ﷺ. من أجل ذلك وجب أن يتلقى أحكام النساء من الرسول عدد كبير منهن، وهن يبلغن الأحكام إلى النساء، ولا يصلح للتلقى عن الرسول إلا أزواجه، لأن لهن خصائص تمكنهم من معرفة غرض المصطفى ﷺ، دون تأفف واستحياء، يشير إلى ذلك قول المصطفى ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء (البيضاء)» يريد الصديقة المبرأة.

إن المصطفى ﷺ مرسل لاستجلاب الأفئدة واجتذاب القبائل والأمم، ولا ريب أن المصاهرة أمتن سبب، وأقوى داع للتآلف والمناصرة، ودعوة الدين فى أول أمرها كانت فى حاجة إلى الإكثار من العشائر ليكونوا أعضادًا وأنصارًا، يؤازرون المصطفى ﷺ فى تبليغ الرسالة، ويذودون عنه عوادى المضلين، ويقلون حد عنادهم، ويكفون عنه آذاهم.

تأمل ما كان من عتق بنى المصطلق، وإسلامهم بتزوج رسول الله ﷺ من ابنة سيدهم على ما سيأتى بيانه، وما روى

من قوله ﷺ فى حق ولده إبراهيم: «**لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطى**».

ومعنى هذا: لأسلم أخواله فرحًا به وإكرامًا له، فوضعت الجزية عنهم.

ومما يزيد أن من أسباب تعدد أزواج النبى الانتفاع بنتيجة المصاهرة - أن أكثر أزواجه كن من قريش سيدة العرب. أضف إلى ذلك أن المؤمنين كانوا يرون أن أعظم شرف وأمتن قربة إلى الله تعالى انتسابهم لنبيه، وتقربهم منه. فمن ظفر بالمصاهرة فقد أدرك غاية ما يرجو وخير ما يأمل.

ألم ترى أن عمر رضي الله عنه أسف جد الأسف، حين فارق رسول الله ﷺ ابنته وقال:

- لا يعبأ الله بعدها بعمر.. ولم ينكشف عنه الهم حتى روجعت.

وأن عليًا كرم الله وجهه - على اتصاله برسول الله ﷺ عن طريق النسب، وشرف اقترانه بالزهراء رضى الله عنها - رغب فى أن يزوج النبى أخته أم هانئ بنت أبى طالب، ليتضاعف شرفه وينمو سؤدده، ولم يمنعها من ذلك إلا خوفها أن تقصر فى القيام بحقوق الرسول مع خدمة أبنائها.

ويورد الأسباب الخاصة التى يمكن أن نلخصها فى أن زواجه من بعض زوجاته كان لأسباب خاصة بهن. . فقد تزوج مثلا بالسيدة جويرية رضى الله عنها. . وكان سبب ذلك أن أباها الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق بن خزاعة، جمع قبل إسلامه لمحاربة الرسول جموعًا كثيرة، ولما التقى الجمعان عرض عليه الإسلام فأبوه حتى هزموا، ووقعت جويرية - وكانت تدعى بَرّة - فى سهم ثابت بن قيس فكاتبها على سبع أوراق من الذهب، فلم تر معينًا لها غير المصطفى ﷺ، فجاءت إليه مبينة نسبها، طالبة حريتها، فتذكر النبى ما كان لأهلها من العز والسؤدد والقوة، وما صار إليه لسوء تدبيرهم، وعنادهم فى الاستعباد، فأحسن إليها وإلى قومها بأداء ما عليها، ثم تزوجها، فقال المسلمون بعد أن اقتسموا بنى المصطلق: إن أصهار الرسول لا يسترقون، وأعتقوا من بأيديهم من سبْيهم، وعلى أثر ذلك أسلم بنو المصطلق شكرًا لله على الحرية بعد ذل الكفر والأسر.

* * *

ويحدثنا الأستاذ عبد الحميد جودة السحار فى كتابه: (أضواء على السيرة النبوية ومقارنة بين الأديان) عن تعدد الزوجات فى الإسلام، وتعدد زوجات الرسول فيورد ما يقوله

المعتـزلة بعدم جـواز أن يتزوج الرجـل زوجة ثانيـة ما دامت الأولى فى عصمته، وسبب ذلك أنهم نظروا نظرة سطحية إلى ما يجلبه التعدد - فى نظـرهم - من مفاسد ومضار، ولم يرد فى القرآن نص يـحرم تعدد الزوجات. إنه اشتـرط العدل بين الزوجات: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾. [النساء: ٣]

ويقول الكاتب:

ولا ريب أن هناك ظروفًا اجتماعية أو اقتصادية تبرر تعدد الزوجات. فقد قـرر أساتذة علم الاجتماع أمـثال (جينز برج ووستر مارك) أن تعدد الزوجات كان النظام المتبع فى الشعوب المتمدنة، فـى حين كان نظام الزوجة الواحدة هو الـنظام المتبع عند الشعـوب المتأخرة، وأن الشعوب التـى كانت تحرم الزوج بأكثر من واحـدة، إنما كانت تتبع تقاليد لا تـتصل بالدين من قريب أو بعيد. كما أن الشعوب التى أجازت الزواج بأكثر من واحدة، إنما أجـازته طبقًا لما رأت فـيه من فوائد اقتـصادية أو عمرانية دون نظر كذلك إلى الدين.

وتقول (ماريون لانجز) الـعالمة الاجتماعية المتـخصصة فى استشارات الزواج:

«إن لدى المجـتـمع حلـين ممكنـين فـحسـب، لتـغطيـة

النقص المتزايد فى الرجال.. إما تعدد الزوجات أو إيجاد طريقة ما لإطالة أعمار الرجال. فهل يمكن إيجاد طريقة لإطالة عمر الرجال دون النساء؟ أم ترى هل سيلجأ العالم إلى إباحة تعدد الزوجات؟»

* * *

فالمرأة إذًا قد نالت حقها فى الإسلام. والمرأة فى ظل الإسلام عاشت حياتها وهى موقنة بما لديها من حقوق وما عليها من واجبات.

لم تعد أسيرة حياة الرجل يوجهها كيف يشاء، وأنىّ يشاء.. بل أعطاها الشرع ما يليق بآدميتها، فلم يهدر لها كرامة، ولا أنزلها منزلة لا تليق بالبشر..!

إن أعظم رسل السماء محمد بن عبد الله ﷺ عندما خطب خطبة الوداع، أوصى فى نهايتها بالنساء فقال:

«أيها الناس: إن لنسائكم حقا عليكم، ولكم عليهن حق، ألا يُواطئن فرشكم غيركم، ولا يُدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تفصلوهن، وتهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرِّح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» [البخارى].

وقال أيضا: «**إنما النساء عندكم عَوَان فى أيديكم، ولا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله.. فاتقوا الله فى النساء، واستوصوا بهن خيرًا .. اللهم بلغت اللهم فاشهد**».

• • •

وفى دراسة للدكتور محمد عمارة عن اجتهاد الشيخ محمود شلتوت. . والتى عنوانها (هكذا اجتهد الإمام المستنير). . فيورد رأيه عن المرأة وعلاقتها بالرجل فيقول:

مساواة المرأة للرجل، مع توزيع العمل بينهما وفق فطرة تمايز الذكورة عن الأنوثة، وتمايز الأنوثة عن الذكورة. . هو حكم الإسلام.

"فلقد رفع القرآن الكريم من شأن المرأة إلى درجة لم تكن تحلم بها من قبل، ولم تصل إليها من بعد فى غير جو الإسلام جعل لها حقا فى المال كالرجل، ومنحها حق التصرف فيه دون رقابة عليها أو ولاية، وجعل إذنها شرطًا فى صحة زواجها، وجعل لها من حقوق الزوجية مثل ما عليها. وجعلها ذات مسئولية مستقلة فى العبادات والمدنيات والجنايات، وفى الثواب والعقاب عند الله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا

يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ . [النساء: ١٢٤]

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . [التحريم: ١٠، ١١]

فالمرأة فى وضع القرآن لا يؤثر عليها - وهى صالحة - فساد الرجل وطغيانه، ولا ينفعها - وهى صالحة - صلاح الرجل وتقواه، فهى ذات مسئولية أمام الله وفى أحكام الله.

وليس صحيحًا أن الإسلام ينتقص من أهلية المرأة فى الميراث وفى الشهادة فوضع الرجل والمرأة فى الميراث لا علاقة له بالإنسانية التى يشتركان فيها على حد سواء. . وكذلك الشهادة فقول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ليس واردًا فى مقام الشهادة التى يقضى بها القاضى ويحكم، وإنما هو وارد فى مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] إلى أن قال: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن

رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فالمقام استيثاق على الحقوق، لا مقام قضاء بها، والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها.

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة بواحدة أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل لا يثبت بها الحق، ولا يحكم بها القاضى، فإن أقصى ما يطلبه القضاء، هو (البيّنة) وقد حقق العلامة ابن القيم أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره، هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم. ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن إليها، واعتبار المرأتين فى الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها الذى يتبع نقص إنسانيتها ويكون أثرًا له، وإنما هو لأن المرأة كما قال **الشيخ عبده:** «ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل، ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ويمارسونها، ويكثر اشتغالهم بها».

والآية جاءت على ما كان مألوفًا فى شأن المرأة، ولا يزال أكثر النساء كذلك، لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبايعات، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى هذا الأصل الذى تقضى به طبيعتهن فى الحياة، وإذا كانت الآية ترشد إلى أكمل وجوه الاستيثاق، وكان المتعاملون فى بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات، كان لهم الحق فى الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا إلى تذكرها وعدم نسيانها على نحو تذكر الرجل وعدم نسيانه.

ونتابع رأى الإمام الشيخ محمود شلتوت:

هذا وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل شهادة المرأة وحدها، وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها كالولادة، والبكارة، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية، وعلى أن منها ما تقبل شهادة الرجل وحده وهى القضايا التى تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ولا تقوى على تحملها، على أنهم قد رأوا قبول شهادتها فى الدماء إذا تعينت طريقًا لثبوت الحق واطمئنان القاضى إليها. . إلى آخر ما أورده الإمام محمود شلتوت.

* * *

وكانت حياة الرسول الكريم نور هداية للبشرية . . فكانت رسالته جامعة يتعلم منها الرجال والنساء، وكانت عائشة أنجب تلاميذ هذه المدرسة.

فقد حدثت عائشة أن امرأة جاءت النبى ﷺ وقد نزف منها دم لا ينقطع ظنته حيضًا، وسألت المرأة عائشة أن يرخص لها الرسول فى ترك الصلوات فقال لها الرسول ﷺ:

- إنما ذلك عرق ينزف منه الدم وليس بحيض فإذا أقبلت حيضتك فدعى الصلاة، وإذا انتهيت فاغسلى عنك الدم وتطهرى وصَلّى، ثم توضئى لكل صلاة حتى يجىء وقت الحيض.

ويروى البخارى:

ذهبت عائشة مع رسول الله ﷺ لأداء فريضة الحج، فلما قاربت مكة جاءها الحيض، فخشيت أن يفسد عليها حجها، وذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال:

- إن هذا أمر كتبه الله على بنات حواء، فاقض ما يقضى الحاج، غير ألا تطوفى بالبيت.

فشاركت فى مناسك الحج إلا الطواف بالكعبة.

وفى هذا الحج سألته (عائشة) عن الجدار الذى كان يحيط

بالكعبة يومئذ من الخارج: أهو من البيت الحرام؟

قال الرسول ﷺ: نعم.

قالت: فما بالهم لم يدخلوه فى البيت؟

قال ﷺ: قصرت بهم (أى قريش) النفقة.

قالت: فما بال بابه مرتفعًا؟

قال ﷺ: **فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا.**

- يا عائشة. لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهُدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته (أى بابه) بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًا، وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم.

* * *

كانت السيدة عائشة تسأل النبى ﷺ، والإجابة عليها من الرسول الكريم ﷺ توضح للناس أمور دينهم..

فمثلا: قال الرسول ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**».

قالت عائشة: إنا نكره الموت.

قال النبى ﷺ: ليس ذلك! ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شىء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه.

وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شىء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه.
[البخارى]

وكثيرًا ما صوبت أم المؤمنين ما فهم الناس من أحاديث الرسول فقد قيل لعائشة رضى الله عنها:

إن أبا هريرة يروى عن رسول الله ﷺ قال:

- الشؤم فى ثلاثة: الدار، والمرأة، والفرس.

فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة، فإنه دخل ورسول الله ﷺ يقول:

- قاتل الله اليهود فإنهم يقولون: الشؤم فى ثلاثة: فى الدار والمرأة والفرس.

فسمع أبو هريرة آخر الحديث، ولم يسمع أوله.

* * *

وما أكثر الأحاديث التى روتها عن الرسول ﷺ.. وما أكثر ما تحدثت عن كيفية صلاته وصيامه وسجوده وقيامه

وتهـجده وزهده، ووفـائه. . ومن هنا فـقد أحـبها الـرسول الكريم ﷺ. . أحب فيها شخصـيتها وذكاءها. . فكان بالرغم من عدله بين زوجاته، فإنه كان لحبه عائشة. . يطلب من الله عدم مـؤاخذته فيـما لا يملك من حب لـها أكثر مـن زوجاته الأخريات، فقال ﷺ:

« اللهـم هـذا قسمى فيمـا أملـك، فـلا تـؤاخذنى فيمـا لا أملك».

* * *

المراجـــع

القرآن الكريم................ (تفسير القرآن العظيم لابن كثير)

الحديث الشريف .... الستة الصحاح

الصديقة بنت الصديق .... عباس محمود العقاد

عبقرية الإمام .... عباس محمود العقاد

السنة فى مكانتها وتاريخها .... د. عبد الحليم محمود

حياة محمد .... د. محمد حسين هيكل

الفاروق عمر .... د. محمد حسين هيكل

الصديق أول الخلفاء .... عبد الرحمن الشرقاوى

على إمام المتقين .... عبد الرحمن الشرقاوى

أضواء على السيرة النبوية .... عبد الحميد جودة السحار

الخلفاء الراشدون .... عبد الوهاب النجار

سيرة النبى العربى .... أحمد التاجى

خاتم النبيين .... الشيخ محمد أبو زهرة

رجال حول الرسول .... خالد محمد خالد

القرآن والمرأة .... الشيخ محمود شلتوت

محمد المثل الكامل .... محمد أحمد جاد المولى بك

هكذا اجتهد الإمام المستنير............ دراسة عن الشيخ محمود شلتوت للدكتور محمد عمارة نشرت بجريدة القاهرة العدد ٤٥ .

خلافة على بن أبى طالب .... مأمون غريب

كتب للمؤلف

١- أضواء من السيرة العطرة.	مركز الكتاب للنشر
٢- نساء فى حياة الأنبياء.	» » »
٣- خلافة أبو بكر الصديق.	» » »
٤- خلافة عمر بن الخطاب.	» » »
٥- خلافة هثمان بن عفان.	» » »
٦- خلافة على بن أبى طالب.	» » »
٧- خامس الخلفاء الراشدين.	» » »
٨- حجة الإسلام الإمام الغزالى.	» » »
٩- المهاجرون إلى الله.	» » »
١٠- الإمام الحسين حياته واستشهاده.	» » »
١١- العوالم الخفية والقرآن الكريم.	» » »
١٢- أبطال الجهاد فى الإسلام.	» » »
١٣- ألف ليلة وليلة بلغة عصرية.	» » »
١٤- مع مشاهير الفكر والأدب.	دار المعارف
١٥- حديث الروح مع الشيخ الشعراوى.	دار المعارف

١٦- هؤلاء ورحلة الذكريات.	مكتبة نصر
١٧- السحار والذكر الإسلامى.	« «
١٨- بيوت الله.	دار غريب
١٩- الإمام الشاذلى.	« «
٢٠- السيدة زينب رضى الله عنها.	« «
٢١- المبشرون بالجنة.	« «
٢٢- الإسلام بين الانتصار والانكسار.	« «
٢٣- ابن الفارض.	الدار المصرية اللبنانية
٢٤- البوصيرى شاعر البردة.	الدار المصرية اللبنانية
٢٥- أسماء بنت أبى بكر.	دار الآفاق العربية
٢٦- جرائم غيرت مجرى التاريخ الإسلامى.	دار الآفاق العربية
٢٧- فاطمة الزهراء.	دار الآفاق العربية
٢٨- المرأة المسلمة وأمهات المسلمين.	دار أخبار اليوم
٢٩- خصوم النبى.	دار الهدى للكتاب
٣٠- الإسراء والمعراج.	دار الهدى للكتاب
٣١- ثروت أباظة أديبًا.	دار الشعب
٣٢- أنيس منصور حياته وأدبه.	الدار العصرية (بيروت)

الفهـرس

رقم الإيـــداع : ٩٦٠٠ /٢٠٠٥
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 343 - 3

مطـابــع آمـــــون

٤ ش الفيروز متفرع من إسماعيل أباظة

لاظوغلى - القاهرة

تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦